

المملكة الصلاحية من كتاب الكامل في التاريخ

لابن الأثير (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م)

أ.د. وجدان فريق عناد

مركز أحياء التراث العلمي العربي

جامعة بغداد

المملكة الصلاحية من كتاب الكامل في التاريخ
لأبن الأثير (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٣م)

أ.د. وجدان فريق عناد

المخلص

ابن الأثير من الشخصيات التاريخية المشهورة في الحضارة الإسلامية، نال تلك المكانة من مؤلفاته التي من أبرزها كتابه الموسوعي الكامل في التاريخ الذي حفظ لنا أخبار مكنتنا من رسم صورة عن الحياة في معظم جوانبها في تلك المدة الزمنية الحرجة من تاريخ العالم الإسلامي .

ومن بين تلك الأخبار ما ذكره عن صلاح الدين الأيوبي، فكان مصدراً لاغنى لكل من درس وبحث في سيرة ذلك القائد المسلم، لكونه مؤرخ يتسم بالدقة في تحري الأخبار، فضلاً عن كونه معاصر لتلك الحقبة الزمنية .

Abstract

Ibn al-Atheer of the famous historical figures in the Islamic civilization, obtained the status of his books and perhaps the most famous full book in history, which kept us news about that time period of the history of the Islamic world, and from those news, the important information about Salah al-Din Ayyubi, which was an important source for Studying the life of Salah al-Din.

المقدمة :

تناولنا في هذا البحث ما أورده ابن الأثير في كتابه الكامل في التاريخ من روايات تاريخية عن الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي (١) وتبعاً لذلك قمنا بتقسيم المملكة الصلاحية التي سعى صلاح الدين الأيوبي الى تكوينها خلال الحقبة الزمنية الممتدة من (٥٦٤ - ٥٨٩ هـ / ١١٦٨ - ١١٩٣ م) الى ما يأتي:

اولا- لمحة تعريفية موجزة عن: مؤلف الكتاب ابن الاثير ، فضلا عن صلاح الدين الأيوبي من خلال كتاب الكامل في التاريخ لابن الاثير .

ثانيا :- المملكة الصلاحية : ولداستها قسمت الى مراحل ، مشابه لما في نظرية شبنجلر عن الحضارة كمنهج لدراسة هذا الموضوع " اذ يتوالى على كل حضارة ما يتوالى على أي كائن حي من ولادة ونمو وشيخوخة وفناء " هي :-

مرحلة الولادة : التي تبدأ من وفاة عمه أسد الدين شيركوه سنة (٥٦٤ هـ / ١١٦٨م) وحتى وفاة نور الدين زنكي سنة (٥٦٩ هـ / ١١٧٣م) وفيها يكون هدف صلاح الدين تثبيت نفسه وسيطرته على الديار المصرية لتكون قاعدة ينطلق منها مستقبلاً لتوسيع نفوذه .

مرحلة النمو : وهي مرحلة واسعة ومهمة تبدأ من تولي الملك الصالح اسماعيل (٥٦٩ - ٥٨١ هـ / ١١٧٣ - ١١٨٥م) وكان هدفه في هذه المرحلة توسيع مملكته ومد نفوذها خارج بلاد مصر، وهي في ثلاث مراحل :

المرحلة الاولى: تمتد من سنة (٥٧٠هـ / ١١٧٤م) وحتى وفاة الملك الصالح سنة (٥٧٧هـ / ١١٨٠م) وتم الاعتراف بنفوذه في بلاد الشام الا مدينة حلب .

المرحلة الثانية: تمتد من سنة (٥٧٨ . ٥٧٩ هـ / ١١٨١-١١٨٣م) وفيها تم الاعتراف بنفوذه في البلاد الجزرية الا الموصل.

المرحلة الثالثة : سيطرته على حلب في سنة (٥٧٩ هـ / ١١٨٣م) والموصل سنة (٥٨١ هـ / ١١٨٥م).

مرحلة الشيخوخة : وتمثلت بالمحافظة على ما تحقق من انجازات في المرحتين السابقتين والتصدي لأي اعتداء خارجي، ويدخل ضمن هذا الهدف طرد الفرنج وابعادهم عن مملكته، وهي أيضاً في ثلاث مراحل :

المرحلة الاولى: مرحلة الاندفاع السريع وتحقيق التقدم في مراكز الفرنج من سنة (٥٨٣- ٥٨٥ هـ / ١١٨٧ - ١١٨٩م) .

المرحلة الثانية : مرحلة التراجع وتمتد من سنة (٥٨٥-٥٨٧ هـ / ١١٨٩- ١١٩١م).

المرحلة الثالثة : صحو ما قبل الموت من سنة (٥٨٧- ٥٨٨ هـ/١١٩١- ١١٩٢م) وشهدت عقد الهدنة مع ملك انكلترا .

مرحلة الفناء: كانت في سنة (٥٨٩ هـ / ١١٩٣م) والتي انتهت بوفاة صلاح الدين الأيوبي .

ان تحديد المملكة الصلاحية بتلك المراحل لا يعني ان هناك انقساماً، انما كانت مرحلة تكمل الأخرى، وفي كل مرحلة يكون لصلاح الدين هدف معين، ويبقى الهدف الاعلى هو تثبيت السيادة على مناطق نفوذه ، ولما كانت

المادة التاريخية كثيرة واسعة لذلك أقتصر البحث على مرحلة واحدة هي مرحلة النمو . لتكون أنموذجا لما كتبه ابن الأثير في كتابه الكامل في التاريخ عن صلاح الدين الايوبي .

أولا- لمحة تعريفية موجزة

١- مؤلف الكتاب :

هو أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بأبن الأثير الجزري الملقب عز الدين ^(٢)، ولد في رابع جمادي الاولى سنة خمس وخمسين وخمسمائة بجزيرة ابن عمر ^(٣)، ونشأ بالجزيرة ثم سار الى الموصل مع والده وأخوته ، وسكن الموصل وسمع بها من أبي الفضل عبد الله بن أحمد الخطيب الطوسي ومن طبقته ، وقدم بغداد مراراً عند مروره لأداء فريضة الحج ورسولاً من صاحب الموصل، وسمع بها من الشيخين أبي القاسم يعيش بن صدقة الفقيه الشافعي، وأبي أحمد عبد الوهاب بن علي الصوفي وغيرهما .

رحل الى الشام والقدس وسمع هناك من جماعة من العلماء ثم عاد الى الموصل ولزم بيته منقطعاً الى التوفر على النظر في العلم والتصنيف، وكان بيته مجمع الفضل لأهل الموصل والواردين عليها، وكان اماماً في حفظ الحديث ومعرفته وما يتعلق به، وحافظاً للتواريخ المتقدمة والمتأخرة، وخبيراً بأنساب العرب وأيامهم ووقائعهم وأخبارهم ^(٤) . ومن تصانيفه (الكامل في التاريخ) في اثني عشر مجلد مرتب على السنين بلغ فيه حتى عام ٦٢٩ هـ وأكثر من جاء بعده أخذ منه، و(أسد الغابة في معرفة الصحابة) في خمسة مجلدات كبيرة مرتبة على الحروف، و(اللباب) اختصر فيه أنساب السمعاني

وزاد فيه، و(تاريخ الدولة الأتابكية) ، و(الجامع الكبير) في البلاغة ، و(تاريخ الموصل) (٥) توفي سنة ثلاثين وستمئة في الموصل (٦).

٢- من هو صلاح الدين :

هو : صلاح الدين بن نجم الدين أيوب بن شاذي ، من قبيلة الزوادية الكردية، أصله من أذربيجان من منطقة بلدوين (٧)، جاء أبوه الى بغداد وكان متولي شحنتها مجاهد الدين بهروز (٨) وقد أظهر خلال خدمته لمجاهد الدين ما جعله مستحفظاً لقلعة تكريت (٩). وفي سنة ٥٢٦ هـ وعندما انهزم عماد الدين زنكي أمام قراجا الساقي مر بتكريت فقدم نجم الدين اليه المساعدة " فأقام له المعابر فلما عبر أمن الطلب وسار الى بلاده وهذا الفعل من نجم الدين أيوب كان سبباً لاتصاله به والمسير في جملته حتى آل الامر الى ملك مصر والشام " (١٠). الا أن نجم الدين طرد من قبل مجاهد الدين بهروز، لأن أخيه الاصغر شيركوه قتل بتكريت رجلاً فسار الى عماد الدين الذي كان يحفظ لنجم الدين معروفه السابق، فأدخله في خدمته وجعله مستحفظ قلعة بعلبك، وخدم شيركوه نور الدين ابنه، وبعد موت عماد الدين زنكي سلمت بعلبك اليهم من قبل سيف الدين غازي بن زنكي، واصبح شيركوه القائد الاول في جيش نور الدين زنكي ، فكانوا من أكابر الامراء بدمشق (١١). ونشأ صلاح الدين نشأة عسكرية في جيش عمه شيركوه وبعد أول ذكر له عند ابن الاثير في ساحة القتال مع عمه في أحداث سنة ٥٦٢ هـ (١٢).

اخوته: ذكر ابن الاثير أثناء روايته عن صلاح الدين أسماء اخوته الذين كان لهم دور في عملياته العسكرية وهم: أخوه الاكبر شمس الدولة تورنشا (١٣)،

والملك العادل ابو بكر^(١٤)، وسيف الاسلام طغديكين^(١٥)، والاخ الاصغر تاج الملوك بوري^(١٦)، وله أخ اسمه شاهنشاه بن أيوب^(١٧)، لا يذكر ابن الأثير شيء عن الحياة الخاصة لصلاح الدين، الا أنه من خلال سرد الاحداث يظهر ان له من الابناء سبعة عشر ولداً لا يرد منهم الا ذكر ابنه الاكبر الملك الافضل^(١٨)، والملك العزيز عثمان^(١٩)، والملك الظاهر غازي^(٢٠)، والظافر^(٢١)، ولعل ذلك يرجع الى أن البقية كانوا لا يزالون صغاراً وليس لهم أي دور في الحياة السياسية والعسكرية، وكان صلاح الدين كثير الاعتماد على أهله ولاسيما أبناء اخوته وعمه^(٢٢).

ظهور صلاح الدين الايوبي على المعترك السياسي:

بدأ ابن الاثير ذكر اخبار صلاح الدين في حوليات سنة ٥٦٢ هـ في اطار حديثه عن عودة عمه أسد الدين شيركوه الى مصر، واول ذكر له كان في ساحة القتال عندما يستشير عمه قواده وهو في موقف صعب، فكان جنده لا يتجاوز عددهم ألفي فارس وهو منقطع في صعيد مصر ، وكان يحارب المصريين وفرنج الساحل معاً، وكان رأي الاكثرية هو الانسحاب ، الا أن شرف الدين برغش^(٢٣) وشيركوه وصلاح الدين أصروا على القتال ، فخاض صلاح الدين المعركة بعد ان اشترك بالتخطيط لها على ان يكون هو في القلب لمراوغة العدو والفرار من امامهم لاتاحة الفرصة لاسد الدين شيركوه الذي قاد الميمنة للايقاع بالعدو قتلاً، والى ان ادرك الفرنج خطة شيركوه كانت هزيمتهم قد حقت عليهم في موضع البابين^(٢٤).

ظهر صلاح الدين في أول ذكر لابن الاثير له بأنه قائد ذو شجاعة وعزيمة على القتال في معركة صعبة (٢٥) . ولعل السبب الذي جعل أسد الدين يختار ابن اخيه لهذه المهمة الصعبة هو وجود شبه بينهما، فيخدع العدو لبعد المسافة نسبياً بين الفريقين قبل خوض المعركة بأنه شريكوه، على ان ذلك لا يقلل من شجاعة وبأس صلاح الدين بل يضاف لمصلحته، فقد كان بإمكان شريكوه ان يختار قائداً أكبر وأكثر مراساً في الحرب لهذه المهمة من صلاح الدين الذي تولى قيادة أخطر قسم في الجيش وهو القلب، فاختره شريكوه لتنفيذ هذه المهمة لكونه من شجعان عسكره الذين يثق بهم ويعرف صبرهم في الحرب (٢٦) . وبعد تحقيق هذا النصر سار الى الاسكندرية ، وجعل صلاح الدين أميراً عليها، عاد بعدها الى صعيد مصر ، وخلال هذه المدة تمكن الفرنج من محاصرة صلاح الدين ، ومن ثم عقد الفرنج الصلح مع صلاح الدين ، على يدفعوا له خمسين ألف دينار ، فضلاً عن كل ما اخذ سابقاً من البلاد، وتخرج عساكر الفرنج والنورية مع شريكوه من مصر دون أي ملك فيها للفريقين (٢٧) .

عاد شريكوه الى حمص، أما الفرنج فقد طلب منهم الخليفة الفاطمي ويتدبير من وزيره شاور ابقاء حامية لمصر من نور الدين مقابل مائة ألف دينار سنوياً (٢٨) ، فتسلطوا على المسلمين وطلبوا العون من الفرنج الذين كانوا بالشام لمساعدتهم في السيطرة على مصر (٢٩) ، ولكن أهلها دافعوا عنها (٣٠) ، ولما وصلها الفرنج في (٩ صفر سنة ٥٦٤ هـ) وجدوها قد حرقت وانتقل

أهلها الى القاهرة، فساروا الى القاهرة ودخلوها في (١٠ صفر سنة ٥٦٤ هـ) فنهبوها، فلم يجد الخليفة مغيثاً له الا نور الدين، فبعث اليه مع شعر نسائه لشدة ما كان عليه الحال في القاهرة . وما ان وصلت هذه الكتب الى نور الدين حتى أرسل صلاح الدين مع الرسول الى عمه (٣١) ، والتقى بعمه عند باب حلب، لأن المصريين قد كتبوا اليه أيضاً، فأسرع الى نور الدين يطلب رأيه (٣٢)، فجهز شيركوه جيشاً من الفرسان كان من بينهم صلاح الدين (٣٣) واتجه الى مصر (٣٤)، وما ان اقترب منها حتى رحل عنها الفرنج (٣٥)، فدخل شيركوه مصر في (٧ جمادي الآخرة سنة ٥٦٤ هـ)، واستقبله الخليفة العاضد وخلع عليه ، وهنا كان لابد من تنفيذ ما اتفق عليه مع نور الدين بان يكون له " ثلث بلاد مصر وان يكون أسد الدين مقيماً عندهم في عسكر واقطاعهم من البلاد المصرية ايضاً خارجاً عن الثلث الذي لهم " (٣٦) .

ومع أن شاور كان يماطل بسبب كرهه وجود عسكر نور الدين في البلد، الا ان كثرة العسكر النورية وترحيب العاضد بهم جعل شاور يفضل السكوت واطهار المودة لشيركوه، الا انه فكر في التآمر لقتل شيركوه وقواده بخطة وضعها لهم، ولولا تهديد ابنه بفضح تدبيره لنفذ ما خطط له (٣٧)، ورغم محاولة شاور اخفاء حقيقة نواياه الا انها كانت مكشوفة، وفي الوقت نفسه كان صلاح الدين وعز الدين جردك . من الممالك النورية . يحاولون اقناع شيركوه بقتله الا انه يمنعهم، ومع ذلك فعندما سنحت الفرصة لهم بغياب أسد الدين الذي كان يقوم بزيارة الى قبر الامام الشافعي، إذ وصل شاور الى عسكرهم

فأسروه حتى حضر أسد الدين فأمر بقتله وأيده الخليفة العاضد وطلب رأسه وأكده بخلعه ولقبه الملك المنصور أمير الجيوش^(٣٨)، الا انه لم يتمتع بهذا اللقب طويلاً فقد وافاه الاجل في ٢٢ جمادي الآخرة سنة ٥٦٤ هـ^(٣٩)، وعلى أثر وفاته برزت أطماع الأمراء في نيل منصبه، وكان لكل منهم أنصاره، الا ان الخليفة الفاطمي العاضد ومستشاريه وجدوا في هذا التنافس فرصتهم لاعادة سيطرتهم على مقاليد الامور باختيار شخصية يمكن اخضاعها والسيطرة عليها وبالتالي تسخير العسكر لصالح الخلافة الفاطمية فاتفقوا " على ان ليس في الجماعة أضعف ولا أصغر من يوسف، والرأي ان يولى فانه لا يخرج من تحت حكمنا ثم نضع على العساكر من يمت ميلهم الينا فيصير عندنا من الجنود من نمنع بها البلاد ثم نأخذ يوسف أو نخرجه ولهذا أرسل العاضد في طلب صلاح الدين وخلع عليه خلة الوزارة ولقبه الملك الناصر "^(٤٠).

ان الاسباب التي جعلت العاضد يحل صلاح الدين محل عمه هي التي دفعت بقية الامراء الى الامتناع عن تأييده وطاعته، منهم عين الدولة الباروقي، وقطب الدين المشطوب الهكاري وشهاب الدين محمود الحارمي وهو خال صلاح الدين، "وكل واحد من هؤلاء يخطبها"^(٤١)، ولولا جهود الفقيه عيسى الهكاري مع المشطوب والحارمي وغيرهم في اقناعهم بمساندة صلاح الدين الأيوبي لما كان الأمر له، وفشلت جهود هذا الفقيه في اقناع عين الدولة الباروقي الذي قال "أنا لا أخدم يوسف، وعاد الى نور الدين بالشام ومعه غيره من الامراء"^(٤٢).

ثانيا : - المملكة الصلاحية

مرحلة النمو للمملكة الصلاحية (٥٦٩ - ٥٨١هـ / ١١٧٣ - ١١٨٥م) :

ان مرحلة نمو وتوسع المملكة الصلاحية مرت بثلاث مراحل هي :

أ . المرحلة الاولى : السيطرة على بلاد الشام باستثناء حلب

ب وفاة نور الدين زنكي زالت أول وأهم العقبات التي كانت تقف بوجه طموحات صلاح الدين، وبدأت مرحلة جديدة من الصراع بين صلاح الدين من جهة والملك الصالح والامراء النورية من جهة اخرى، ومع ان الامراء أقاموا الخطبة للملك الصالح وأصبح الأمير شمس الدين محمد عبد الملك المعروف بابن المقدم وصياً عليه " فقال له كمال الدين صاحب مصر هو من أصحاب نور الدين والمصلحة أن نشاوره في الذي نفعله ولا نخرجه من بيننا فيخرج عن طاعتنا، ويجعل ذلك حجة علينا، وهو أقوى منا، لأنه قد انفرد اليوم بملك مصر فلم يوافق هذا القول أغراضهم وخافوا ان يدخل صلاح الدين ويخرجهم ..."^(٤٣)، فهم يدركون قوته حتى ان الفرنج بعد ان حاصروا قلعة بانياس^(٤٤) لم يقاثلوهم، بل راسلوا الفرنج وتوعدوهم ان لم يقبلوا الصلح "فنرسل الى سيف صاحب الموصل ونعلمه ونصالحه ونستجده ونرسل الى صلاح الدين بمصر فنستجده ونقصد بلادكم فلا يمتنع ..."^(٤٥) فقبلوا الصلح . أما صلاح الدين فانه كان يقدر قوته ويرى انه أحق من غيره بالوصاية على الملك الصالح^(٤٦)، فكتب الى بقية الامراء النورية " لو ان نور الدين يعلم ان فيكم من يقوم مقامي أو يثق

اليه مثل ثقته الي لسلم اليه مصر التي هي أعظم ممالكه وولاياته، ولو لم يعجل عليه الموت لم يعهد الي أحد بتربية ولده والقيام بخدمته غيري، وأراكم قد تفردتم بمولاي دوني، وسوف أصل الي خدمته واجازي أنعام والده بخدمة يظهر أثرها، واجازي كل منكم على سوء صنيعته" (٤٧).

كان في مقدمة أهداف صلاح الدين في هذه المرحلة ان يملك بلاد الشام وامرائه كما ملك الديار المصرية، وبأقصر وقت وأقل جهد، الا ان الملك الصالح لا يرضى به، رغم ان صلاح الدين كان يؤكد انه مملوكه، لأنه يعرف الذي كان بين أبيه وصلاح الدين لذا قرر محاربتة .

وبعد ان فرغ صلاح الدين من الفرنج واستعاد السيطرة على صعيد مصر^(٤٨) أخذ يعد العدة ليبدأ طريقه الي بلاد الشام، مستغلاً حالة الصراع بين الامراء النورية حول الاستيلاء على اقطاعات بعضهم^(٤٩) ومما زاد هذا الصراع حدة ان نور الدين لم يترك وريث قوي بنفس صفاته بل ترك طفلاً في الحادية من العمر وهو الملك الصالح^(٥٠).

ومما ساهم في اسراع صلاح الدين بالتوجه نحو بلاد الشام هو دعوة ابن المقدم له لاستلام دمشق^(٥١)، وما ان اقترب صلاح الدين من دمشق حتى خرجت عساكرها لاستقباله فدخلها ونزل بدار والده نجم الدين المعروفة بدار العفيفي، وكان حريصاً في التأكيد على انه " مملوك الملك الصالح وما جنئت إلا لأنصره وأخدمه وأعيد البلاد التي اخذت منه اليه، وكان يخطب له في بلاده

كلها " (٥٢)، وتسلم القلعة من خدمها، ربحان القاضي كمال الدين بن الشهرزوري وسلمت الى صلاح الدين بأموالها في (ربيع الثاني ٥٧٠ هـ / ١١٧٤م) وجعل عليها أخوه سيف الاسلام طغديكين، وأكمل صلاح الدين مسيره في ١٢ جمادي الاول من السنة نفسها الى حمص التي رفضت التسليم، فملكها الا القلعة التي قاومته فمضى عنها الى حماة (٥٣)، وصاحبها عز الدين جورديك ووصلها في بداية شهر جمادي الآخرة سنة (٥٧٠ هـ / ١١٧٤م)، والذي اتجه مسرعاً الى حلب (٥٤) فلما وصل جورديك قبض عليه كمشتكين وسجنه عندئذ سلمت حماة الى صلاح الدين والذي سار باتجاه حلب . إلا ان الملك الصالح كان لا يزال متأثراً بموقف والده من صلاح الدين ويعده الظالم الجاحد(٥٥)، فلم يجد تفسيراً لمسير صلاح الدين الى الشام غير رغبته في السيطرة على البلاد، لذلك فانه كتب يستجد بسيف الدين غازي (٥٦)، وأرسل سيف الدين الى زعيمهم في الاسماعيلية سنان ووعدته بالأموال، وأطلق من الحبس صاحب طرابلس القومص الصنجيلي وأمه "بمائة وخمسين ألف دينار سورية وألف أسير" (٥٧).

وسار صلاح الدين بعد ذلك الى حلب وحاصرها في ٣ جمادي الآخرة فكان القتال يجري قرب جبل جوش، وهنا تحركت الاسماعيلية والقومص الصنجيلي لتنفيذ ما اتفق عليه لابعاد صلاح الدين عن حلب، فدبرت الاسماعيلية عملية اغتيال صلاح الدين فدخلت جماعة منهم متكرة الى عسكره ولولا وجود الامير غمارتكين صاحب قلعة بوقيس الذي كشف أمرهم "لانه

جارهم في البلاد كثير الاجتماع بهم والقتال لهم فلما رأهم قال لهم ما الذي أخدمكم وفي أي شيء جئتم فجرحوه جراحات مثنخة وحمل أحدهم على صلاح الدين ليقتله فقتل دونه وقاتل الباقرن من الاسماعيلية فقتلوا جماعة ثم قتلوا^(٥٨).

وجاءت الاخبار بتحرك القومص الصنجيلي ومعه الفرنج على أملاك صلاح الدين بتوجيه من حلب لانقاذها من الحصار، فما أن وصل الفرنج الى حمص في (٧ رجب ٥٧٠ هـ / ١١٧٤ م) حتى عاد صلاح الدين مسرعاً ودخل حماة في اليوم التالي (٨ رجب)، ومنها الى الرستن^(٥٩)، ثم وصل الى حمص^(٦٠)، وكان الفرنج قد رحلوا منها فاستسلمت القلعة في ٢١ شعبان ثم تسلم قلعة بعلبك في ١٤ رمضان من سنة (٥٧٠ هـ / ١١٧٤ م)^(٦١) وجعل عليها ابن المقدم^(٦٢) وهكذا أصبحت دمشق وحمص وحماة وبعلبك ملك خالص لصلاح الدين الامر الذي جعله في مواجهة مع أقوى الامراء النورية وهو سيف الدين غازي بن قطب الدين مودود ، والذي جاء لحماية الملك الصالح ، فسير عسكره مع أخيه عز الدين مسعود ومقدم الجيش عز الدين محمود زلفندار^(٦٣) ووصلوا الى حلب عندما رحل عنها صلاح الدين لطردهم الفرنج والصنجيلي من حمص ، وبهذا فشل صلاح الدين في اظهار حرصه على الطاعة للملك الصالح وتجنب الاجتماع بين الملك الصالح وأقوى امراء النورية سيف الدين غازي ، فحاول صلاح الدين حتى اللحظة الاخيرة تجنب الحرب فعرض أن يكون حاكم دمشق باسم الملك الصالح وتسليم حمص

وحماة^(٦٤) ، الا أن الرد كان يقتضي تسليم كل ما ملك في بلاد الشام والعودة الى مصر ، فحاض صلاح الدين الحرب رافضاً العودة بخفي حنين في قرون حماة في (١٩ رمضان سنة ٥٧٠ هـ / ١١٧٤م) وحقق النصر وغنم ما في معسكرهم وتبعهم حتى حاصر حلب ، وتم الصلح باقرار الطرفين على ما بيده فرحل صلاح الدين بعدها الى حماة وتم قطع الخطبة للملك الصالح ومحي اسمه من النقود^(٦٥) .

وبعدها وصلته خلع الخلافة العباسية وهنيء بالنصر^(٦٦) ، وكان صلاح الدين قد حاصر وهو في طريقه الى حماة قلعة بصرين وسلمت اليه بمنح الامان الى صاحبها فخر الدين مسعود بن الزعفراني في (أوائل شهر شوال ٥٧٠ هـ / ١١٧٤م) ، وفي نهاية الشهر ذاته دخل الى دمشق متصرفاً بما يملكه من بلاد الشام، فجعل خاله شهاب الدين بن نكشن الحارمي على حماة، وابن عمه ناصر الدين شيركوه على حمص^(٦٧)

وبذلك أصبح صلاح الدين ملك مصر معترفاً به في بلاد الشام، ومن قبل الخلافة العباسية حاله حال سلفه نور الدين زنكي، وعد بذلك الحامي الطبيعي للبلاد الاسلامية من خطر الفرنج إذ أخذ يعد العدة للهجوم على مراكزهم من دمشق ومصر ، الا انهم أسرعوا لعقد الاتفاق معه على الصلح وذلك في (محرم ٥٧١ هـ / ١١٧٥م) ، وكان سبب قبوله الصلح مع الفرنج لتوقعه بأن الامراء النورية لن يجعلوا انتصاراته تمر بهدوء لذا فقد "أمر العساكر

المصرية بالعودة الى مصر للاستراحة الى أن يعاود طلبهم وشرط أنه متى أرسل يستدعيهم لا يتأخرون" (٦٨) .

ان توقع صلاح الدين كان في محله ، فبعد أن صالح سيف الدين أخاه عماد الدين زنكي صاحب سنجار، جمع عسكره من حصن كيف وماردين وأقام في نصيبين الشتاء ثم توجه الى حلب فانضم اليه عسكره الذين كانوا مع أخاه عز الدين مسعود الذي بقي في حلب بعد الهزيمة والصلح الاول مع صلاح الدين، وعسكر الملك الصالح ومدبر ملكه سعد الدين كمشتكين مستعدين لحرب جديدة مع صلاح الدين الذي كان ينتظر وصول عسكره من مصر. وما ان وصلوا حتى تحرك بهم الى تل السلطان في حلب، ووصل عصر يوم (٩ شوال ٥٧١ هـ / ١١٧٥ م) وهم في أشد حالات التعب والارهاق، ومع صباح اليوم التالي ١٠ شوال كانت المعركة التي انتصر فيها صلاح الدين أيضاً وللمرة الثانية بسبب عدم قدرة سيف الدين استغلال فرص الانتصار التي توفرت له، وهي أنه كان أكثر عدةً وعدداً من صلاح الدين وحالة التعب والارهاق لعساكر مصر عند وصولها الى أرض المعركة، فضلاً عن ان سيف الدين كان يعتمد بشكل أساس على رأي زلفندار " الذي كان جاهلاً بالحرب والقتال غير عالم بتدبيرها مع جين فيه" (٦٩)، إذ كان يقول : " ما بنا هذه الحاجة الى قتال هذا الخارجي في هذه الساعة غداً بكرةً ناخذهم كلهم " (٧٠)، كما انه لم يحسن استغلال طبيعة المنطقة الجغرافية لصالحه رغم وصوله قبل صلاح الدين فقد

جعل زلفندار " أعلامهم في وهدة من الارض لا يراها الا من هو بالقرب منها فلما لم يراها الناس ظنوا ان السلطان قد انهزم فلم يثبتوا وانهمز " (٧١) .

لقد دفعت الهزيمة هذه سيف الدين للعودة مسرعاً الى الموصل عازماً
الاعتصام بقلعة عقرا الحميدية (٧٢) ، لأنه كان يظن ان صلاح الدين سيتبعه
للقضاء عليه (٧٣) ، بيد ان صلاح الدين لم يرغب بالتوجه الى البلاد الجزرية
وبلاد الشام لاتزال غير خاضعة له تماماً ، فاتجه الى ما بقي من بلاد الشام
وبدأ ببزاعه (٧٤) فملكها، ثم اتجه الى منبج (٧٥) التي حاصرها في (آخر شوال
٥٧١ هـ / ١١٧٥ م) ، وكان صاحبها قطب الدين ينال بن حسان المنبجي التي
منحها اياه نور الدين زنكي ٥٦٢ هـ / ١١٦٦م شديد الكره لصلاح الدين
فاعتصم بقلعتها، الا ان صلاح الدين تمكن منها عنوة وملكها بما فيها من
الاموال والسلاح (٧٦) ، ثم توجه الى قلعة اعزاز بالقرب من حلب وحاصرها
(٣٨) يوماً حتى استسلمت في ١١ ذي الحجة من السنة ذاتها (١٤٠) عاد بعدها
الى حلب (٧٧) وكان سيف الدين قد ترك فيها أخوه عز الدين بعسكره لمساندة
الملك الصالح ، فحاصرها صلاح الدين منذ منتصف ذي الحجة ٥٧١ هـ /
١١٧٥م الا ان قوة دفاع أهلها " منعت من التقرب من البلاد لانه كان اذا ما
تقدم للقتال خسر هو واصحابه وكثر الجراح والقتل فيهم وكانوا يخرجون
ويقاتلونه ظاهر البلد فترك القتال واخذ للمطاوله " (٧٨) راجباً بالصلح. وكذلك
كان الملك الصالح لأنه خشى ان يتسرب الملل والضعف الى أهل حلب،
عندئذ بدأت مراسلات الصلح في ٢٠ محرم ٥٧٢ هـ / ١١٧٦م " وتم الصلح

للجميع، للملك الصالح ولسيف الدين صاحب الموصل ولصاحب الحصن
ولصاحب ماردين وتحالفوا واستقرت القاعدة ان يكونوا كلهم عوناً على الناكث
الغادر " (١٤٣)، وأهدى صلاح الدين قلعة اعزاز الى الملك الصالح^(٧٩).

بعد ذلك لم يبق أمام صلاح الدين من أعدائه غير الاسماعيلية التي لا
تزال على عدائها معه، فبعد ان فشلوا في محاولتهم الاولى لاغتياله، أعادوا
الكرة اثناء حصار قلعة اعزاز وكادوا ان ينجحوا بمحاولتهم ، لذلك فان صلاح
الدين وبعد ان فرغ من أمر الملك الصالح وامرائه دخل بلاد الاسماعيلية "فنهب
بلادهم وخربه واحرق وحاصر قلعة مصبات وهي أعظم حصونهم واحصن
قلاعهم فنصب عليها المنجنيقات وضيق على من بها" (٨٠)، وكان قادراً على
امتلاكها، الا انه قبل الصلح الذي سعى فيه خاله شهاب الدين الحارمي
صاحب حماة لأن "عسكره قد ملوا من طول البقاء وقد امتلأت أيديهم من غنائم
عسكر الموصل ونهب بلد الاسماعيلية، فطلبوا العودة الى بلادهم للاستراحة
فأذن لهم وسارهم الى مصر مع عساكرها لأنه كان قد طالت غيبته عنها ولم
يمكنه المضي اليها فيما تقدم خوفاً على بلاد الشام فلما انهزم سيف الدين
وحصر هو حلب وملك بلادها وأصلحوا على امن البلاد فسار الى
مصر"^(٨١). ويمكن اضافة سبب آخر فضلاً عن ما ذكره ابن الأثير لقبول
صلاح الدين الصلح والعودة الى مصر، ذلك هو عودة شمس الدولة تورانشاه
الاخ الاكبر لصلاح الدين من اليمن، فلا بد أنه ساورته بعض المخاوف وان
كانت بسيطة في بدايتها فقد ملك شمس الدولة بلاد اليمن الا أنه عندما قرر

مغادرتها لم ينتظر ليسمح له الناصر صلاح الدين بذلك بل نفذ قراره بنفسه. وفي الطريق بعث يبلغ أخوه بقدمه، كما أنه ما ان وصل دمشق حتى تصرف من نفسه في الاغارة على الفرنج وقاتلهم عند عين الجسر^(٨٢)، دون أن يأخذ بنظر الاعتبار اجهاد السفر، ووجود ابن المقدم في دمشق الذي تمكن من قتالهم، وأسر ٢٠٠ منهم وأرسلهم الى صلاح الدين في مصر^(٨٣)، قبل ان يصل هو الى دمشق فلو كان دافعه قتال الفرنج دون غاية في نفسه لتعاون مع ابن المقدم ، ولكنه كان يسعى ليجعل لنفسه مكانة في بلاد الشام مثلما كانت له في بلاد اليمن، ولكن تسرعه في عمله العسكري هذا فسح المجال واسعاً أمام الفرنج " فانبسطوا في تلك الولاية وجبروا الكسر الذي ناله منهم ابن المقدم " ^(٨٤). وكان لابد من مسير صلاح الدين بنفسه لردهم عن المسلمين فدخل بعسكره في (٢٤ جمادي الاولى ٥٧٣ هـ / ١١٧٧ م) عسقلان، فنهبوا وأحرقوا البلاد وتمكنوا من الفرنج، وكانوا في تقدمهم لا يجدون صعوبة تعرقلهم فتفرقوا في النواحي، وما ان تهيء صلاح الدين لعبور النهر حتى ظهرت عساكر الفرنج أمامهم، ومع قلة أصحابه قاتلهم وكان فيهم بعض أهله، الا ان عساكر الفرنج حملوا بجمعهم على المسلمين حتى اوشكوا على قتل صلاح الدين، الا انه تمكن من النجاة والهرب فيمن بقي معه حتى دخل مصر، وقد قتل في هذه الواقعة ابن اخيه أحمد بن تقي الدين، فيما اسر الفقيه عيسى الهكاري الذي افتداه صلاح الدين بستين ألف دينار، وأسر أيضاً أخوه الظهير^(٨٥) .

ازدادت قوة الفرنج بعد ما اصاب صلاح الدين لاسيما بعد ان وصلتهم الامدادات، فاتجهوا الى حماة وحاصروها وكادوا ان يملكوها^(٨٦)، الا ان أهلها ومعهم العساكر الصلاحية الذين تفرقوا عن صلاح الدين قبل اشتباكه بالقتال تمكنوا من دفع الفرنج خارج حماة بعد أربعة أيام من الصبر والقتال^(٨٧)، وكان هم الفرنج هو السيطرة على أية بقعة من بلاد المسلمين بغض النظر عن أهميته بالنسبة لهم مستغلين فراغ المنطقة من أية قوة قادرة على مواجهتهم فقصدوا حماة لضعف صاحبها الذي ألم به مرض أماته بعد ان رحلوا الى حارم وحاصروها لمدة أربعة أشهر، مستغلين حالة الصراع عليها، بين الملك الصالح واتباع سعد الدين كمشتكين المتحصنين بقلعتها^(٨٨)، الا ان الفرنج قبلوا الصلح على مال دفعه لهم الملك الصالح، وبرحيلهم حل جيش الملك الصالح محلهم وسلمت اليه القلعة وجعل عليها أحد المماليك النورية^(٨٩)، ثم قصد الفرنج حمص فأكثروا النهب والقتل والاسر الا ان صاحبها ناصر الدين محمد بن شيركوه تمكن منهم بكمين وقتل وأسر الكثير منهم وأعاد كل الذي سلبه^(٩٠)، وكان لوصول صلاح الدين الى حمص أثره في نفوس المسلمين، إذ نزل بظاھرھا وذلك في (شوال سنة ٥٧٤ هـ / ١١٧٨ م)، حتى ان الفرنج لما عاودوا الهجوم في ربيع السنة ذاتها على نواحي حماة سارت اليهم العساكر الصلاحية الموجودة فيها، وعلى قلتها تمكنت من هزيمتهم واسترداد كل ما نهبوه من تلك النواحي وبعثوا ببشائر النصر والاسرى ورؤوس القتلى^(٩١).

ولم يكد صلاح الدين يفرغ من هذه المواجهة حتى تجمع الفرنج حول أحد زعمائهم لغزوا بلاد المسلمين ،وذلك في شهر ذي الحجة سنة (٥٧٤ هـ / ١١٧٨ م) حينما تجمعوا حول هنغري الذي وصفه ابن الاثير بأنه "بلاء صبه الله على المسلمين" ^(٩٢)، فسار متجهاً الى دمشق فنهب وقتل وأسر وسبى، فأمر صلاح الدين ابن أخيه فرخشاه بالسير بالعساكر الصلاحية اليه، ولعل الذي منع صلاح الدين من السير اليه بنفسه هو خروج شمس الدين محمد بن المقدم في هذه السنة عن طاعته لأنه أمره بتسليم بعلبك الى أخيه شمس الدولة نورانشاه، ولما امتنع للعهود التي بينه وبين صلاح الدين اعتصم بقلعة بعلبك فحاصره صلاح الدين مما أدى الى تأخر الأخير عن الخروج بنفسه لقتال هنغري، وأرسل ابن أخيه وأمره "اذا قاربهم يرسل اليه يخبره على جناح طائر يسيراليه"^(٩٣)، وكان حذراً من ترك المنطقة في وقت كان الوضع متوتراً، فابن المقدم محاصر ، وشمس الدولة نورانشاه مصر على طلبه الذي لم ينفذ بأخذ بعلبك، ولعل ذلك دفع صلاح الدين الى عدم الاشتراك في هذه الحرب ضد الفرنج، وكان القتال شديد بين الطرفين وقد استمات فرخشاه في القتال حتى قتل هنغري .

بيد ان هذه الهزيمة لم تكن كافية لردهم ، اذ سرعان ما تجمع امراء الفرنج في بلاد الشام في أواخر سنة (٥٧٤ هـ / ١١٧٨م) حول فريدا وهو أقوى الامراء في تلك الحقبة ، ومنهم البرنس صاحب انطاكية واللاذقية وصاحب طرابلس، وابن ببرزان صاحب الرملة ونابلس وأخاه صاحب جبيل وصاحب

طبرية ومقدم الراوية ومقدم الانسبتارية وصاحب جنين وغيرهم من مشاهير فرسانهم^(٩٤)، وقد بنوا حصن في مخاضة الاحزان قرب بانياس وكان حصناً منيعاً حتى ان عرض سوره بلغ تسعة أذرع^(٩٥)، فما كان من صلاح الدين الا ان ترك حصار ابن المقدم لأحد امرائه واتجه الى بانياس ليكشف جلية أمر هذا الحصن، وحاصره وأخذ يبيث الغارات على مراكز الفرنج وسار ابن أخيه تقي الدين عمر الى حماة^(٩٦) فيما توجه ناصر الدين محمد ابن شيركوه الى حمص "وأمرهما بحفظ البلاد وحيطة أطرافها"^(٩٧)

ومع بداية عام (٥٧٥ هـ / ١١٧٩م) حاصر صلاح الدين الحصن بعد ان انضمت الى عساكره ما كان مع ابن أخيه عز الدين فرخشاه، وضيق الحصار على الحصن، ولقلة المؤونة عندهم هاجموا حارسي الميرة المتجهة الى العساكر الصلاحية المحاصرة للحصن حتى اقتربوا من النصر، وصبر المسلمون حتى ان عز الدين وصف الحال بقوله "فهان الموت في عيني فألقيت نفسي اليه"^(٩٨) .

وكثر قتل وأسر الفرنج ومن بين الاسرى كان ابن بيرزان^(٩٩)، وأخاه مقدم الراوية وصاحب طبرية، ومقدم الاسبتارية، وصاحب جنين^(١٠٠) .

ولما فعل الحصار فعله بالفرنج وكسرت شوكتهم بهزيمة ملكهم فريدا وأسر امرائهم، أسرع صلاح الدين الى استغلال هذه الفرصة وأحسن تجهيز عسكره وسار الى حصار الحصن من جديد في ربيع الاول من سنة (٥٧٥ هـ

/ ١١٧٩م) عازماً على ضربه بالمنجنيقات، الا ان أحد كبار امرائه وهو جاولي الاسدي أشار عليه بأن القتال كافياً للقضاء على الحصن، فعاد القتال الى شدته حتى تمكن المسلمون من الاقتراب من السور وتسلق أحد العامة الى باشورة الحصن وتشجع غيره على ذلك، فتحول القتال مع الفرنج على سور الحصن، وبات المسلمون ليلتهم عليه، وحاول صلاح الدين هدم الحصن إذ "تقبوا الحصن وعمقوا النقب وأشعلوا النيران فيه ... فانظروه يومين فلم يسقط فأمر صلاح الدين باطفاء النار في النقب فحمل الماء والقي عليها فطفئت، وعاد النقب، فنقبوا السور وألقوا فيه النار، فسقط يوم الخميس لست بقين من ربيع الاول" (١٠١)، ويسقطه دخل المسلمون اليه عنوة وأسر الكثير من الفرنج وحرر المسلمين من الاسر، ولشدة المعارك التي التي جرت على هذا الحصن فان صلاح الدين لم يرحل عنه الا بعد أن تأكد من اختفاء أثر الحصن بهدمه، فعاد الى دمشق منتصراً مع الاسرى وبشيوخ خبر النصر تفرقت جموع الفرنج في طبرية التي كانت تستعد لتكون مدد لحصن مخاضة الاحزان (١٠٢) .

وفيما كان صلاح الدين محاصراً لحصن مخاضة الاحزان، توجه تقي الدين عمر ابن أخ صلاح الدين الى حصن ركبان لانقاذه من حصار عساكر قلج أرسلان البالغة ٢٠ ألف مقاتل، فتمكن تقي الدين بألف من العساكر الصلاحية النصر عليهم (١٠٣)، أما شمس الدولة تورنشا الذي كان من المفترض أن يكون الى جانب أخيه في مثل هذه الظروف نجده على العكس من ذلك فلا يكاد ينفذ له صلاح الدين مبتغاه حتى يتحجج بطلب آخر، فلم

تمض سنة واحدة على منحه بعلبك التي الح في طلبها "لأن تربيته ومنشأه كانا بها وكان يحبها ويختارها على غيرها من البلاد" (١٠٤)، فانه تخلى عنها في ذي القعدة سنة (٥٧٥ هـ / ١١٧٩م)، مطالباً هذه المرة بالاسكندرية (١٠٥)، ولعل هذا الامر يؤكد تعليلنا السابق لسبب رجوعه من اليمن، وقد أكد ابن الأثير بصورة واضحة طموح شمس الدولة بقوله " وكان له أكثر بلاد اليمن ونوابه هناك يحملون اليه الاموال من زبيد وعدن وما بينهما من البلاد والمعائل، وكان أجود الناس وأسخاهم كفاً يخرج كل ما يحمل اليه من أموال اليمن، ودخل الاسكندرية وحكمه في بلاد أخيه صلاح الدين وأمواله نافذة" (١٠٦). وقد يكون الهدف من وراء هذا التنقل من منطقة الى أخرى محاولة من شمس الدولة ايجاد ذريعة للخروج على أخيه إن امتنع عن تنفيذ ما يطلبه منه. كما ان اشارة ابن الاثير هذه تعني ان شمس الدولة بدأ يتصرف وكأنه ملك مثل صلاح الدين، فضلاً عن ان هذا المحارب الشجاع الذي غزا النوبة واليمن وتمكن منهما عندما يعود تنقطع الاشارة الى مشاركته في العمليات العسكرية للعساكر الصلاحية على طول العام، ان مثل هذه الشكوك لم تكن غائبة عن صلاح الدين فقد ذكر ابن الاثير " انه بعد وفاة شمس الدولة فان سيف الدين مبارك بقي مع صلاح الدين في مصر فلم يعارضه " (١٠٧)، الا ان اتباع صلاح الدين أخذت تساورهم الشكوك من تصرفات سيف الدولة واتباعه كشرائهم الاطعمة من السوق ويبلغون باناه يحاول الهرب فقبض عليه صلاح الدين سنة (٥٧٧ هـ / ١١٨١م)، وعلل سيف الدين تصرفه هذا برغبته في اقامة دعوة في قرية العدوية لاعيان الدولة الصلاحية، ومما تجدر الاشارة اليه ان صلاح الدين لم

يجتمع بأخيه شمس الدولة منذ عاد من اليمن، فبعد ان توفي شمس الدولة سار صلاح الدين ودخل مصر في شعبان سنة (٥٧٦ هـ / ١١٨٠ م).

ان وفاة شمس الدولة ومجيء سيف الدين الكناني الى مصر ترك فراغاً سياسياً في اليمن من أبرز ملامحه الاختلاف والنزاع بين اتباعه على الاقطاعات، كما هو الحال ما حدث بين والي عدن عز الدين عثمان بن الزنجبيلي وحطان بن منقذ والي زبيد، لهذا أرسل صلاح الدين والي مصر صارم الدين الذي استولى على زبيد ولكن بعد وفاته عاد حطان من جديد (١٠٨)، فأرسل عثمان الزنجبيلي الى صلاح الدين يستغيث بسرعة ارسال من يقضي على حطان بن منقذ الكناني، فأرسل صلاح الدين أخاه سيف الاسلام طغديكين سنة (٥٧٨ هـ / ١١٨٢ م) وما ان وصل الى زبيد حتى تحصن حطان في قلاعه وتجنب سيف الاسلام الدخول في قتال مع حطان (١٠٩)، بل اتبع معه اسلوب الطيبة والاحسان حتى أشعره بالأمان ونزل من قلاعه رغم أنه كان لا يثق بهذه المعاملة، لهذا الح في طلب الرحيل الى الشام ، وفي النهاية منحه طغديكين الموافقة، وبعد ان سير أمواله وأهله، اتجه لبيودع طغديكين فقبض عليه، واسترد كل ماعنده من أموال، ولهول المصير الذي انتهى اليه حطان الامر الذي دفع الى هروب عز الدين عثمان بعد ان هرب امواله بحراً الى بلاد الشام (١١٠) .

ان الظروف بدأت تسير في خدمة صلاح الدين في توجهه نحو تقوية وتوسيع مملكته الصلاحية، فهذا سيف الدين صاحب الموصل قد مات فخلت

الساحة لصلاح الدين من أي منافس قوي، وتأكيداً لما كان يتمتع به صلاح الدين من قوة ونفوذ في بلاد الشام، تنافس كل من قلج أرسلان بن مسعود بن قلج أرسلان ونور الدين محمد بن قرا أرسلان في كسب تأييد صلاح الدين الى جانبه في الصراع الناشيء بينهما على الرغم من وجود الملك الصالح فيها، كذلك فانه ما ان سمع بظلم ابن ليون للاتراك الذين جعلهم رعاة في بلاده ثم غدر بهم وقتل وأسر وسبى منهم الكثير حتى توجه صلاح الدين الى بلاد ابن ليون رغم صعوبة المسالك اليها^(١١١). واستطاعت العساكر الصلاحية ان تخرب وتحرق بلاده، وانتهى الامر بطلب ابن ليون الصلح على اطلاق الاسرى والسبي واعادة ما أخذه من أموالهم على ان يرجع صلاح الدين بعسكره عن بلادهم، وتم الامر في جمادي الآخرة سنة (٥٧٦ هـ / ١١٨٠ م). كما ان الامر الاكثر أهمية بالنسبة لصلاح الدين في تحقيق اهدافه هو موت الملك الصالح في رجب سنة (٥٧٧ هـ / ١١٨١ م)، وكان ابن الاثير محقاً بقوله " وكان صلاح الدين حينئذ بمصر ولولا ذلك لزاحمهم عليها وقتلهم " ^(١١٢)، وكان الملك الصالح مدركاً لهذا الامر لذلك فانه قال لحاشيته وهو يحتضر ويوصي لابن عمه عز الدين بجلب "قد تغلب على عامة بلاد الشام سوى ما بيدي، ومتى سلمت حلب الى عماد الدين يعجز عن حفظها، وان ملكها صلاح الدين لم يبق لاهلنا معه مقام، وان سلمتها الى عز الدين أمكنه حفظها بكثرة عساكره..." ^(١١٣).

والواقع ان ما شغل صلاح الدين عن الشام الاوضاع في مصر واليمن والتي شغلته أيضاً عن الخروج بنفسه لتأديب أرناط صاحب الكرك عندما حاول تدنيس مدينة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، الا ان خبر ملك عماد الدين حلب جعله يتجه مسرعاً الى الشام، وكان خروجه منها في (٥ محرم سنة ٥٧٨ هـ / ١١٨٢م)، وخرج معه الكثير من التجار^(١١٤) متجهاً الى دمشق، ولما وصلتته أخبار استعداد الفرنج للهجوم عليه لم يبق معه الا المقاتلين فقد "دفع الضعفاء والاثقال حفاظاً عليهم"^(١١٥)، مع أخيه تاج الملوك بورني الى دمشق، اما هو فقد أكثر الاغارة على بلادهم لاسيما الكرك والشوبك لاستفزازهم ودفعهم الخروج اليه، الا ان أحداً منهم لم يجرؤ على الاعتراض لصلاح الدين، وكان الافرنج قد تجمعوا في محاولة منهم لقطع الطريق على صلاح الدين والظفر به، الا ان الحماس للجهاد والاخلاص للملك الناصر دفع ابن أخيه عز الدين فرخشاه نائبه على دمشق للمسير والدخول الى بلاد الفرنج الخالية من الحامية، فقتل وأسر وسبى وغنم الكثير من الاموال، والتقى عز الدين بعمه صلاح الدين وهو في طريقه الى دمشق حاملاً له بشارة النصر، فدخل صلاح الدين دمشق في (١١ صفر سنة ٥٧٨ هـ / ١١٨٢م)، وفي ربيع الاول خرج بعسكره حتى نزل الاقحوانة واتجه ابن أخيه عز الدين فرخشاه الى بيسان^(١١٦)، أما العرب فقد أغاروا على جنين واللجون واندفعوا حتى مرج عكا^(١١٧)، وأمام هذا الضغط انسحب الفرنج الى تحت جبل كوكب، وحاول صلاح الدين استفزازهم ودفعهم للقتال حينما حمل ابنا أخويه تقي الدين عمر وعز الدين فرخشاه وعملوا فيهم السيف فانهزموا أمامهم، وعاد صلاح الدين الى دمشق منتصراً، وعاد معه

فرخشاه مريضاً^(١١٨)، وما ان أخذ جيشه قسطاً من الراحة حتى توجه صلاح الدين الى بيروت وكله عزم على دخولها فأمر اسطوله في مصر بالتوجه اليها بحراً، فدخل البلد ونهبه وحاصره لعدة أيام، وأثناء الحصار جاءت بشرى أهل دمياط بأسرهم (١٦٧٦) أسير من الفرنج^(١١٨)

ب- المرحلة الثانية:- العبور الى البلاد الجزرية .

لما عاد صلاح الدين الى بلاد الشام لبلوغه خبر وفاة الملك الصالح اسماعيل ، كان هدفه معروفاً وهو حلب، لذلك فقد استعد كل من عز الدين صاحب الموصل ومجاهد الدين قايماز لخوض الحرب المتوقعة مع صلاح الدين من أجل حلب، فعسكروا في نصيبين، الا ان صلاح الدين قام بحركة غير متوقعة وبعيدة عن الحسابات في هذه المدة على الاقل^(١١٩)، وهي العبور الى الديار الجزرية، ولعل الذي شجع صلاح الدين على اتخاذ هذه الفكرة وصول رسول مظفر الدين بن زين الدين علي بن بكتكين صاحب حران^(١٨٦) اليه أثناء حصاره بيروت ليعرض المساندة والنصر فعبر الفرات اليه^(١٢٠) .

وجد صلاح الدين في هذه الدعوة فرصة لتحقيق مبتغاه في حلب وبلاد الجزيرة أيضاً، فعبوره الى البلاد الجزرية سيشكل خطر على بلاد عز الدين وامرائه ويدفعهم الى ترك ما جمعوه من العساكر لحماية حلب بغية الدفاع عن اقطاعاتهم، وبالتالي سيسهل أمر حلب، ولغرض التمويه سار صلاح الدين باتجاه حلب، ولما اقترب من الفرات اجتمع مع مظفر الدين صاحب قلعة البيرة، ومن على الجسر الذي فيها عبرت عساكره الفرات، وكان أول اجراء اتخذه بعد العبور محاولته كسب امراء المنطقة الى جانبه "فكاتبهم ووعدهم وبذل لهم البذول على نصرته"^(١٢١)، بعدها سار الى الرها^(١٢٢) وصاحبها فخر الدين

مسعود الزعفراني وحاصرها في جمادي الاولى سنة ٥٧٨ هـ / ١١٨٢م فطلب فخر الدين الامان وسلم الرها لصلاح الدين ودخل في طاعته ، أما متحفظ قلعتها فسلم على ما اتفق عليه ، فاقطعت الرها الى صاحب حران مظفر الدين^(١٢٣) وبسهولة أخضع الرقة^(١٢٤)، والخابور، وقرقيسيا^(١٢٥)، وماكسين، وعرابات، ونصيبين^(١٢٦) .

ولما وجد الفرنج ان صلاح الدين أصبح بعيداً وان عز الدين فرخشاه قد مات هاجموا دمشق ونهبوا قراها حتى وصلوا الى داريا عازمين على تخريب جامعها^(١٢٧)، أما صلاح الدين فكان أمامه ثلاث مراكز عليه ان يتحرك اتجاهها وهي متساوية تقريباً في الاهمية وهي : الموصل، وسنجار، وجزيرة ابن عمر^(١٢٨)، واستقر رأيه على التوجه الى الموصل أولاً ، فتقدم صلاح الدين وناصر الدين ومظفر الدين للاستطلاع " فلما قربوا من البلد رأى ما هاله واصحابه، ان رأى بلداً عظيماً كبيراً ورأى السور والفصيل قد ملئا من الرجال وليس فيها شرفة الا وعليها رجل يقاتل سوى من عليه من عامة البلد المتفرجين فلما رأى ذلك علم انه لا يقدر على أخذه وانه يعود خائباً..."^(١٢٩)، فقد استعد عز الدين ونائبه مجاهد الدين حتى استعمل ماله في حشد العساكر وتجهيزهم بالسلاح وآلات الحصار، ورغم ادراك صلاح الدين حصانة الموصل الا انه لا يستطيع العودة بجنده بعد ان سار بهم حفاظاً على سمعته العسكرية^(١٣٠)، فحاصر الموصل في رجب سنة ٥٧٨ هـ / ١١٨٢م ، وكان لها أربعة أبواب ، وهي باب كنده^(١٣١)، باب الجسر^(١٣٢)، باب العمادي^(١٣٣)، وباب السر، ولم ينفع القتال الشديد ولا نصب المنجنيقات التي اقترح نصبها ابن أخ صلاح الدين، في النيل من صمود الموصل، بل كان الدفاع عنها على أعلى درجات الاستعداد^(١٣٤)، ولم تنفع محاولات الخليفة الناصر لدين الله وصدر الدين شيخ

الشيوخ ومعه بشير الخادم ، ورسل قزل أرسلان صاحب أذربيجان ورسل شاه أرمن صاحب خلاط ، اذ لم يتحقق الاتفاق بين عز الدين وصلاح الدين، فقد كان طلب عز الدين اعادة كل ما أخذه صلاح الدين من البلد، ووافق صلاح الدين على ذلك على ان تكون له حلب .

ومما يشير الى حرجة موقف صلاح الدين انه قبل الصلح مقابل "ان يتركوا انجاد صاحب حلب فلم يجيبوا الى ذلك أيضاً" (١٣٥)، ولما طال الامر على صلاح الدين دون أية نتيجة قرر التوجه الى سنجار التي كانت سبباً في جعل موقفه أكثر حرجة لأن عساكرها قطعوا طريق امداداته ، كما ان مجاهد أرسل قوة عسكرية لنجدة صاحبها شرف الدين أمير أميران هندو أخو عز الدين صاحب الموصل ، وضيّق صلاح الدين الحصار على سنجار حتى جرت اتصالات مع بعض امراء الاكراد على ان يدخل صلاح الدين ناحيته من الليل فملك الباشورة، فأخاف ذلك شرف الدين فطلب الامان، فاجابه صلاح الدين لذلك ورحل الى الموصل وجعل صلاح الدين عليها سعد الدين بن معين نائبه على سنجار، التي أصبحت أهم ما ملك صلاح الدين في تلك الديار (١٣٦) .

اتجه صلاح الدين بعد ذلك الى نصيبين، وفي أوائل شهر ذي القعدة سنة (٥٧٨ هـ / ١١٨٣م) وصل حران واذن لعساكره بالتقرب للاستراحة، الا ان اجتماع عز الدين صاحب الموصل وشاه أرمن ودولة شاه صاحب بدليس وارزن (١٣٧) دفع صلاح الدين الذي كان في قلة من عساكره ان يرسل الى ابن أخيه تقي الدين بحماة الذي لم يتأخر في الاستجابة، ولكن كثرة وقوة من اجتمع لقتال صلاح الدين جعلت تقي الدين يعرض على عمه فكرة الانسحاب وعدم المجازفة في دخول معركة خاسرة، فرحل صلاح الدين الى رأس عين (١٣٨) ثم قصد بجوزم تحت ماردين بعدة أيام ففرق برحيله جمعهم، فعاد عز الدين الى

الموصل وأرمن شاه الى خلاط^(١٣٩)، وقبل نهاية سنة (٥٧٨ هـ / ١١٨٣ م) وفي ذي الحجة بالتحديد حاصر صلاح الدين آمد^(١٤٠) فنصب عليها المنجنيقات وكان يكتب على السهام ما يمنيهم بالخير الكثير اذا أطاعوه وبالوعيد والتهديد اذا استمروا في قتاله^(١٤١)، الا ان دفاع المدينة أخذ بالضعف، فمكّن ذلك النقبابون من الاقتراب من السور ونقبوه، فنثار أهل البلد على ابن نيسان لتفاعسه في الدفاع عنها، فما كان منه الا ان يرسل نساءه الى القاضي الفاضل وزير صلاح الدين لأخذ الامان له ولأهله وماله، وتم الصلح وسلمت المدينة الى صلاح الدين في أوائل محرم سنة (٥٧٩ هـ / ١١٨٣ م)^(١٤٢).

المرحلة الثالثة: ملك حلب والموصل .

سار صلاح الدين الى الشام قاصداً حلب بعد ان سيطر على الديار الجزرية عدا الموصل ليكون في مأمن مما قد تسببه تلك الجبهة لو فكر بأخذ حلب قبلها ، ففي شهر محرم سنة (٥٧٩ هـ / ١١٨٣ م) ملك تل خالد^(١٤٣) وعينتاب^(١٤٤)، فصار الطريق سالكاً الى حلب نفسها فنزل في الميدان الاخضر ثم انتقل الى جبل جوشن، وعلى الرغم من جدية العساكر النورية التي كانت مع عماد الدين زنكي، الا أنه طلب سنجار ونصيبين والخابور والرقبة وسروج مقابل تسليم حلب لصلاح الدين^(١٤٥)، وفعلاً تم الصلح على ذلك وعمل عماد الدين دعوة لصلاح الدين للاحتفال بهذا الاتفاق^(١٤٦)، بعدها رحل عماد الدين عن حلب على ان يأتي اذا استدعاه صلاح الدين بعساكره دون أي عذر للتأخير^(١٤٧).

اما صلاح الدين فقد بقي في حلب لبعض الوقت وخلالها سلمت اليه حارم وجعل الامير سليمان بن جندر على أعزاز^(١٤٨)، وبعد تمتعه بقسط من الراحة وقيامه بتجميع عساكره خرج صلاح الدين من حلب بعد ان أناب عنه

ابنه الملك الظاهر غازي، ولصغره ترك معه أكبر الامراء الاسدية وهو سيف الدين يازكج وتوجه الى دمشق ومنها خرج الى قتال الفرنج فعبّر نهر الاردن في ٩ جمادي الآخرة سنة (٥٧٩ هـ / ١١٨٣ م)، وكان الفرنج يهربون من أمامه فدخل بيسان واحرقها، ولما أصبح وجهاً لوجه مع الفرنج الذين أسندوا ظهورهم الى جبل فحاصروهم المسلمون ورموهم بالنشاب، ولكثرة العساكر الصلاحية أثر الفرنج البقاء في خنادقهم دون خوض القتال معهم لذا عاد المسلمون في ١٧ جمادي الآخرة وأغاروا في طريقهم على مراكز الفرنج دون ان يعترض الفرنج طريقهم، فغنم المسلمون الكثير وعادوا الى الكرك^(١٤٩) التي تجاسر برنسها في "عزمه على الدخول الى الحجاز . مكة والمدينة . وأخذ الحاج ومنعهم عن البيت الحرام والدخول بعد ذلك الى اليمن^(١٥٠)، فوصلها في رجب واجتمع عسكره بعسكر أخيه ونائبه الملك العادل^(١٥١)، " فكثّر جمعه وتمكن من حصره وصعد معه المسلمون الى ريبضه وملكه وحصر الحصن من الريبض وتحكم عليه في القتال ونصب عليه سبع منجنيقات لا تزال ترمي بالحجارة ليلاً ونهاراً، وكان صلاح الدين يظن ان الفرنج لا يمكنونه من حصر الكرك وانهم سيبدلون جهدهم في رده فلم يستصحب معه من آلات الحصار ما يكفي لمثل ذلك الحصن العظيم والمعقل المنيع " ^(١٥٢)، لذا عاد الى دمشق ومعه أخيه الملك العادل واقطعه اقطاعه حلب وكل أعمالها ومنبج وأعمالها^(١٥٣) .

بقي صلاح الدين في دمشق حتى زاد من عسكره بما اجتمع اليه من كل النواحي^(١٥٤)، وفي ربيع الآخر سنة (٥٨٠ هـ / ١١٨٤م) خرج من دمشق وحاصر الكرك مرة اخرى^(١٥٥) ونصب المنجنيقات التي ترمي الحجارة ليلاً ونهاراً، واشتد القتال الى ان تمكن المسلمون من التقدم وحال بينهم وبين القلعة خندق، ولأجل ردمه أمر صلاح الدين ان يصنع سقف^(١٥٦) يحمي المقاتلين

من السهام واحجار المنجنيقات الفرنجية، الا ان صلاح الدين ترك حصار الكرك وسار بعسكره لقطع الطريق على النجدة التي ارسلت لافرنج الكرك، الا انهم استغلوا طبيعة المنطقة من "خشونة الارض وصعوبة المسلك" (١٥٧) في تجنب الالتحام بقتال مع صلاح الدين الذي بقي ينتظر خروجهم منه دون فائدة، فرحل عنهم وتسللوا ليلاً الى الكرك " فلما علم صلاح الدين ذلك تأكد انه لا يتمكن حينئذ من بلوغ غرضه" (١٥٨)، فسار الى غيرها من مدن الفرنج فدخل نابلس، ثم سبيطه، وانفذ الاسرى المسلمين، ثم جنين، وفي طريقه الى دمشق قتل وأسر وسبى وغنم في مناطق الفرنج (١٥٩). وفي دمشق وجد رسول الخليفة الناصر لدين الله، وهو صدر الدين شيخ الشيوخ أبي سعيد الذي سبق له ان سعى للصلح عندما حاصر صلاح الدين الموصل (١٦٠) ومعه شهاب الدين بشير الخادم، ومحي الدين الشهرزوري عند عز الدين صاحب الموصل (١٦١). وكان سبب حضورهم هو ان عز الدين قبض على مجاهد الدين قايمار في جمادي الاولى سنة (٥٧٩ هـ / ١١٨٣ م) وكان له أربل واعمالها، وجزيرة ابن عمر، وشهرزور، ودقوقا، وعقرا المحمدية، الا ان زين الدين علي حاكم أربل ومز الدين سنجرشاه حاكم جزيرة ابن عمر وكلاهما كانا صبيين وكان الحكم بيد مجاهد الدين رفضا للاعتراف بالسلطة لعز الدين صاحب الموصل، فكتبا بالطاعة لصلاح الدين ، اما دقوقا فقد حاصرها الخليفة الناصر لدين الله، لهذا ارسلت الرسل الى صلاح الدين للصلح، الا انهم لم يتفقوا فقد أصر صلاح الدين على ابقاء أربل والجزيرة معه، بينما أكد الشهرزوري حق عز الدين فيهما (١٦٢) ، ولهذا "قوي طمع صلاح الدين في الموصل بقبض مجاهد الدين" (١٦٣). لهذا سار صلاح الدين من دمشق في ذي القعدة سنة (٥٨٠ هـ / ١١٨٤ م) متجهاً الى حلب ومنها عبر الفرات الى أرض الجزيرة وقصد حران

وقبض على صاحبها مظفر الدين كوكبري ابن زين الدين ^(١٦٤)، ثم اطلق سراحه وخلال بقاءه في حران اجتمع معه عساكر نور الدين محمد بن قرا أرسلان ودارا ومضر الدين سنجر الى الموصل، فارسل عز الدين مسعود نساء من أهله . والدته وابنة عمه نور الدين محمود بن زكي . لدفع الشر وتجنب الحرب وعرض على صلاح الدين الصلح والطاعة ومساندته بالعساكر ^(١٦٥)، الا ان صلاح الدين ترك رأي الأكثرية في الموافقة على ما عرضن وأخذ برأي الفقيه عيسى وعلي ابن أحمد المشطوب وهو ان " مثل الموصل لا يترك لامرأة فان عز الدين ما أرسلهن الا وقد عجز عن حفظ البلد ووافق ذلك هواه فأعادهن خائبات واعتذر باعذار مقبولة " ^(١٦٦)، فأكمل سيره الى الموصل ونزل على بعد فرسخين وفيما هو يحاصر الموصل زاد عسكره بوصول سيف الدين يوسف صاحب أربل ^(١٦٧) بعسكره، فكان هو وأخوه صاحب حران مظفر الدين على الجانب الشرقي للموصل والفقيه عيسى وعلي بن أحمد الهكاري على قلعة الجزيرة من بلد الهكارية لانهما في الأصل من بلدة الهكارية من أعمال الموصل، أما موقف عز الدين فعلى الرغم من كون موقف العامة بجانبه، الا ان زلفندار نائبه على القلعة كان ي كاتب صلاح الدين فعلم بالأمر فقبض عليه مع شرف الدين أحمد ^(١٦٨)، فعاد الامر الى مجاهد الدين الذي تمكن من اصلاح ما فسد من الاحوال ^(١٦٩)، الا ان وفاة شاه أرمن صاحب خلاط في (٩ ربيع الآخر سنة ٥٨٠ هـ / ١١٨٤م) واستيلاء سيف الدين على حكمها فلم يكن له من يخلفه فكان الرأي عند صلاح الدين المسيرالى خلاط وقال "ان ولاية خلاط أكبر واعظم وهي سائبة لا حافظ لها وهذه لها سلطان يحفظها ويذب عنها وإذا ملكنا تلك سهل أمر هذه وغيرها" ^(١٧٠)، إلا ان هذا الرأي لم يحض بتأييد كل امرائه ووزرائه ^(١٧١)، فرحل في آخر ربيع الآخر عن الموصل الى

ميفارقين^(١٧٢) ، فكانت الخاتون زوجة قطب الدين واخت نور الدين محمد بن قرا أرسلان صاحب الحضر مع مقدم عسكرها أسد الدين برنقش .

فلم يجد صلاح الدين من سبيل الا الخدعة فأرسل اليه والي الخاتون رسول غايته زرع الشك والريبة بينهما فأبلغ الخاتون " ان أسد الدين برنقش قد مال الينا في تسليم البلد ونحن نراعي حق أخيك نور الدين فيك بعد وفاته ونريد ان يكون لك في هذا الامر نصيب، وانا ازوج بناتك لاولادي، وتكون ميفارقين وغيرها لك وبحكمك " ^(١٧٣). فيما أرسل الى أسد الدين " ان الخاتون قد مالت للمقاربة والانقياد الى السلطان وان من بخلاط قد كاتبوه ليسلموا اليه فخذ لنفسك" ^(١٧٤)، ونجح صلاح الدين في مسعاه وتسلم البلد في نهاية جمادي الاولى سنة (٥٨١ هـ / ١١٨٥ م) وزوج بعض أولاده من بنات الخاتون وجعل لها هناج ^(١٧٥)، ومنها عاد صلاح الدين الى الموصل عن طريق نصيبين^(١٧٦)، ونزل كفر زمار في شعبان من السنة ذاتها عازماً هذه المرة على ملك الموصل، لذلك بدأت المراسلة بينهم على الصلح، وصادف ان مرض صلاح الدين فسار الى حران، وفي الطريق اليها وافق على الصلح ^(١٧٧)، وفي مطلع شوال تسلم الموصل ^(١٧٨) .

وما ان آلت الموصل الى صلاح الدين حتى بلغت مملكته الذروة في المكانة، فهو وان كان قد أصبح السيد الاول في المنطقة منذ وفاة نور الدين زنكي، الا انه كان هناك من يرفض الاعتراف بهذه الحقيقة، ويتسلمه الموصل أنهى كل هؤلاء، بيد ان المرض حال دون اكمال فرصته، فقد اشتد مرضه حتى قطع الامل بشفاؤه فجمع من كان معه من أهله في حران وفيهم أخوه الملك العادل، وابنه الملك العزيز، وابن عمه ناصر الدين محمد بن شيركوه^(١٧٩) فأخذ العهد لأولاده وقسم ملكه بينهم وجعل أخوه الملك العادل وصياً على

الجميع، الا انه تعافى وسار الى دمشق ودخلها في محرم سنة (٥٨٢ هـ / ١١٨٦ م)^(١٨٠)، وفي طريقه الى دمشق التقى صلاح الدين بصدیق قديم له وهو سليمان بن حندر^(١٨١)، الذي نصحه بالحیطة والحذر من أهله على ملكه وقال له " بالله عليك ما تستحي يكون الطائر أهدى منك الى المصلحة ، قال وكيف ذلك وهو يضك، قال : اذا أراد الطائر ان يعمل عشاءً لفراخه قصد أعالي الشجرة ليحمي فراخه وانت سلمت الحصون الى أهلك وجعلت أولادك على الأرض، هذه حلب بيد أخيك، وحماة بيد تقي الدين، وحمص بيد شيركوه، وابنك العزيز مع تقي الدين في مصر يخرجه أي وقت أراد، وهذا ابنك الآخر مع أخيك في خيمته يفعل به ما أراد، فقال له صدقت وأكتم الأمر "^(١٨٢) .

لا يذكر ابن الاثير أية معلومات عن موقف الخلافة العباسية من صلاح الدين بعد ان تملك الموصل، وبتقديرنا ان العلاقة لم تكن على ما يرام، وربما يكون أحد اسباب ذلك هو رفض صلاح الدين الصلح المشار اليه آنفاً الذي سعت اليه الخلافة العباسية عبر ممثليها شيخ الشيوخ صدر الدين بن عبد الرحمن وبشير الخادم، وما ترتب على ذلك من امتناع ممثلي الخلافة المذكورين البقاء في دمشق بعد رفض صلاح الدين لمبادرتهم رغم مرضهما^(١٨٣) وطلباً العودة الى العراق وسارا في الحر فمات بشير بالسخنة ومات صدر الدين بالرحبة^(١٨٤) .

ان اعتراف الموصل بصلاح الدين يمثل بداية مرحلة جديدة في حياة المملكة الصلاحية كان أهم مميزاتها محاولته المحافظة على ما تحقق في المراحل السابقة، وتعاون كل أطراف المملكة لغرض التفرغ للدفاع عن ممتلكاته في البلاد الاسلامية ولإجلاء الفرنج عن هذه البلاد .

الخاتمة :

لقد توصل البحث إلى مجموعة من النتائج منها :
يبدو من دراسة ما كتبه ابن الأثير في كامله إن معلوماته أصيلة لأنه أخذها من مصادر عايشت الأحداث أو كانت قريب من مصادرها، فبعض من تلك الأخبار كانت تؤخذ من أفواه الرجال المقربين من صلاح الدين .
ويبدو كذلك قلة المعلومات التي ذكرها ابن الأثير في كامله عن الجوانب الشخصية والإدارية في مملكة صلاح الدين إلا ما ورد عرضاً . كذلك لم يتحدث عن الأعمال العمرانية لصلاح الدين، إنما وردت إشارات أثناء روايته حياته العسكرية ، كما أكد ابن الأثير في رواياته على التركيبة القبلية لعسكر صلاح الدين من خلال الإشارات التي وردت منها الأسدية، والهكارية وغيرها .
أما عن شعوره تجاه صلاح الدين فعليه كان يتابع الأحداث بمشاعره، فهو ان ذكره بعبارات تعكس عدم الرضا عنه فذلك ورد فيما يتعلق بتوجهه نحو بلاد الشام والبلاد الجزرية فقد شهد بنفسه حصار صلاح الدين للموصل، ويبدو ان ما أصاب مدينته على يده قد ترك في نفسه موقف تجاه صلاح الدين وانه عد تقدم صلاح الدين نحو الشام عدم وفاء لنور الدين زنكي وهو وان كان لا يعبر عن شعوره صراحة لأنه يعيش في ظل دولته، ولكنه عندما يتعلق الأمر بتحركات صلاح الدين نحو الفرنج يكون شعوره تجاهه كشعور المسلم تجاه أخيه.

الهوامش :

(١) وتم اعتماد المراحل في نظرية شبنجلر عن الحضارة كمنهج لدراسة هذا الموضوع ، قال شبنجلر: " اذ يتوالى على كل حضارة ما يتوالى على أي كائن حي من ولادة ونمو وشيخوخة وفناء " شبنجلر، أوزولد . تدهور الحضارة الغربية، ترجمة أحمد الشيباني، دار الحياة ، بيروت ، ١٩٦٤ ، ص ٣٣ .

(٢) ابن خلكان، أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت ٦٨١ هـ) . وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ج٣ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٤٨ ، ص٣٣ .

(٣) الزركلي، خير الدين.الأعلام قاموس تراجم لأشهرالرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج٤، ط٤ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٧٩ ، ص٣٣١ .

(٤) ابن خلكان ، الوفيات ، ج٣ ، ص٣٣ .

(٥) الزركلي ، الأعلام ، ج٤ ، ص٣٣١ .

(٦) ابن خلكان ، الوفيات ، ج٣ ، ص٣٤ .

(٧) ابن الأثير أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري(٦٣٠ هـ). الكامل في التاريخ ، ج٩، مطبعة الاستقامة ، القاهرة ، د.ت، ص١٠١ .

(٨) تولى مجاهد النصب من السلطان محمود حينما جاء إلى بغداد عام ٥٣٢هـ ينظر: المصدر نفسه، ٣٢٨/٨ .

(٩) يسمى هذا المنصب الدردار ، ينظر : المصدر نفسه، ج٨ / ٣٣٦ .

(١٠) المصدر نفسه، ٣٣٦/٨ .

- (١١) المصدر نفسه، ١٠١/٩ . ١٠٢ .
- (١٢) المصدر نفسه، ٩٥/٩ .
- (١٣) مرة شمس الدولة ومرة أخرى وشمس الدين ينظر: المصدر نفسه، ١١١/٩-١١٩ .
- (١٤) المصدر نفسه، ١٦٤/٩ .
- (١٥) المصدر نفسه، ١٥٥/٩ .
- (١٦) المصدر نفسه، ١٥٥/٩ .
- (١٧) لا يذكره ابن الأثير إنما يكثر من ذكر ابنه تقي الدين عمر. ينظر:
- المصدر نفسه، ١٤٨/٩ .
- (١٨) المصدر نفسه، ١٧٢/٩ .
- (١٩) المصدر نفسه، ١٧٢/٩ .
- (٢٠) المصدر نفسه، ١٧٢/٩ وما بعدها .
- (٢١) ورد أول ذكر له في أحداث حصار عكا عام ٥٨٦ هـ ، ينظر: المصدر نفسه ، ١٠٩/٩ .
- (٢٢) وهذا ما سيتضح من خلال الأحداث اللاحقة .
- (٢٣) أحد مماليك نور الدين زنكي وهو صاحب شقيف ، ينظر: المصدر نفسه، ٩٥ /٩ .
- (٢٤) المصدر نفسه، ٩٥/٩ .
- (٢٥) المصدر نفسه، ٩٥/٩ .
- (٢٦) المصدر نفسه، ٩٥/٩ .
- (٢٧) المصدر نفسه، ٩٥/٩ . ٩٦ .
- (٢٨) المصدر نفسه، ٩٦/٩ .

- (٢٩) المقصود بمصر هنا الفسطاط القديمة .
- (٣٠) بعض أهلها راسلوا الفرنج عداوة مع شاور ، ينظر : ابن الأثير ، الكامل ، ٩٩/٩ .
- (٣١) المصدر نفسه، ١٠٢/٩ .
- (٣٢) المصدر نفسه، ١٠٠/٩ . ١٠٢ .
- (٣٣) لم تكن له رغبة في الخروج الى مصر لشدة التأثير النفسي الذي تركه حصار الفرنج له في الاسكندرية ولكنه قبل الخروج لأمر نور الدين، ينظر: ابن الأثير، الكامل، ١٠٢ /٩ .
- (٣٤) ابن الأثير ، الكامل ، ٩٩/٩ .
- (٣٥) لأنهم عقدوا اتفاق مع شاور على أخذ المال والصلح والرحيل عن مصر لأنه خشي ان تمكن شيركوه من طرد الفرنج ، ملك مصر ، وقضى عليه لان تدبير الدولة اليه وهو الذي اتفق على بقاءهم ، ينظر : المصدر نفسه، ٢٠٠/٩ .
- (٣٦) المصدر نفسه، ١٠٠/٩ .
- (٣٧) المصدر نفسه، ١٠٠-١٠١ /٩ .
- (٣٨) لم يكن أمام العاضد الا القبول وهو في موقف صعب. ينظر: المصدر نفسه ، ١٠١/٩ .
- (٣٩) المصدر نفسه، ١٠١/٩ .
- (٤٠) المصدر نفسه، ١٠٢/٩ .
- (٤١) المصدر نفسه، ١٠٢/٩ .
- (٤٢) المصدر نفسه، ١٠٢/٩ .
- (٤٣) المصدر نفسه، ١٢٧/٩ .

- (٤٤) المصدر نفسه، ١٢٦/٩ .
- (٤٥) بعد ان انقسم الامراء النورية في بلاد الشام على أخذ الملك الصالح استقر به المقام في حلب الى جانب سعد الدين كمشتكين وصالحهم سيف الدين غازي صاحب الموصل فلم يكن أمام بن المقدم بعد ان خسر الملك الصالح بارساله الى حلب وانحياز سيف الدين غازي الى جانبه غير صلاح الدين لانقاذه ، ينظر : المصدر نفسه، ١٣٠/٩-١٣١ .
- (٤٦) بعدما بعث صلاح الدين يعزي ويهنيء الملك الصالح " أرسل دنانير مصرية عليها اسمه ويعرفه ان الخطبة والطاعة له كما كانت لأبيه " ، ينظر : المصدر نفسه، ١٢٦/٩
- (٤٧) وهي من أنزه البلاد الشامية والعاص يستدير على غالبها من شرقيها وشماليتها ولها قلعة حسنة البناء ، ينظر : أبي الفداء، تقويم البلدان، ص ٢٤٣ .
- (٤٨) لعله ذهب ليؤكد للملك الصالح نية صلاح الدين في خدمته محاولاً تجنب الحرب مع سيف الدين غازي الذي تجهز وسار لقتال صلاح الدين لحماية الملك الصالح منه .
- (٤٩) ابن الأثير، الكامل، ١٣٣/٩ .
- (٥٠) المصدر نفسه، ١٣٢/٩ .
- (٥١) الدنانير الصورية هي احدى العملات التي قامت بضربها الامارات الصليبية ، وانتشرت في بلاد الشام وسميت الصورية نسبة الى مدينة صور ، ينظر : ابن الأثير ، الكامل، ١٣٢ /٩ ؛ رينسيمان ستيفن . تاريخ الحروب الصليبية ، ترجمة السيد الباز العربي ، بيروت ، ١٩٦٧ ، ج ٣ ، ص ٦١٨ . ٦١٩ .

- ٥٢) ابن الأثير ، الكامل ، ١٣٢/٩ .
- ٥٣) الرستن : خدي نهر العاص وهي بين حمص وحماة ينظر: أبي الفداء، تقويم ، ص ٢٣١ .
- ٥٤) أحد قواعد الشام ... بظاهر حمص على بعض سيل يجري النهر المقلوب وهو نهر الأرنت. ينظر: المصدر نفسه، ص ٣٤١ .
- ٥٥) قلعة بعلبك قلعة حصينة عظيمة البناء ومن بعلبك لى الزيداني ثمانية عشر ميلاً ، والزيداني مدينة ليس لها أسوار ومنه الى دمشق ١٨ ميلاً، ينظر: المصدر نفسه، ص ٣٥٥ .
- ٥٦) ابن الأثير ، الكامل، ١٣٢/٩ .
- ٥٧) المصدر نفسه، ١٣٣/٩ .
- ٥٨) يبدو ان الدافع وراء عرض صلاح الدين ان موقفه في بلاد الشام ضعف لفقدانه الحجة التي دخل بها البلاد الشامية بعد ان أصبح وجهاً لوجه في حرب مع الملك الصالح فخشى ان يكون من انضم اليه بدافع الولاء للملك الصالح يخرج عليه ، ثم ان صاحب سنجار أخو سيف الدين غازي كان على صلح مع صلاح الدين فحاصره أخوه سيف الدين غازي وبهذا خسر حليف الى جانبه يسانده بشكل أو بآخر في الضغط على سيف الدين غازي للعودة الى الموصل ، لاسيما ان صلاح الدين كان يحرض عماد الدين في الملك لأنه هو أكبر، ومع ذلك فعندما رفض عرضه دخل الحرب معتمداً على امكانيته وعامل الحظ، ينظر: المصدر نفسه، ١٣٣/٩ .
- ٥٩) المصدر نفسه، ١٣٣/٩ .

٦٠) ان ضعف الخلافة العباسية تجعلها تقف مع الاقوى ، فعلى الرغم من العلاقة الجيدة مع نور الدين زنكي فقد أرسل له المستضيء بأمر الله الخلع أيضاً عندما كان يحاصر الموصل ، كذلك رد عليه نور الدين بارسال بعض غنائمه اليه ، ولا ننسى الأهم من ذلك وهو عودة الخطبة العباسية بأمره في مصر واليمن الا ان كل ذلك لم يدفع الخلافة العباسية الى تأييد ولده الملك بل كانت الى جانب صلاح الدين ، ينظر : المصدر نفسه ، ١١٠/٩ - ١١٩.

٦١) المصدر نفسه، ١٣٤/٩ .

٦٢) المصدر نفسه، ١٣٩/٩ .

٦٣) المصدر نفسه، ١٣٣/٩ .

٦٤) المصدر نفسه، ١٣٦/٩ .

٦٥) المصدر نفسه، ١٣٦/٩ .

٦٦) قلعة عقرا الحميدية قلعة حصينة مشهورة ببلد الموصل، ينظر : أبي الفداء ، تقويم، ٢٧٤ .

٦٧) الا ان وزيره جلال الدين، ومجاهد الدين قايماز جعلاه يعدل عن رأيه ، ينظر : ابن الأثير، الكامل ، ١٣٦/٩ .

٦٨) بزاعه: على مرحلة من حلب في الجبهة الشمالية الشرقية ينظر: ابي الفداء ، تقويم ، ص ٢٤٧ .

٦٩) منبج: من أجناد قنشرين في بلاد الشام، ينظر: المصدر نفسه، ص ٢٧٠-٢٧١ .

٧٠) إلا أن صلاح الدين أطلق سراحه فالتحق بسيف الدين الذي جعله على الرقه ينظر: ابن الأثير، الكامل ، ١٣٧/٩ .

- (٧١) المصدر نفسه، ١٣٦/٩ .
- (٧٢) لعل السبب الذي جعل صلاح الدين يترك حلب عندما انهزمت عساكر سيف الدين في تل السلطان هو خشيته من بقية الامراء الموجودين في المنطقة واحتمال مساعدتهم لعز الدين أخو سيف الدين غازي الذي تركه في حلب بالتفاهم حوله والعودة اليه ، لذا فانه ما ان غنم معسكره بما فيه وتقوى به سار الى تلك المناطق (بزاعه، منبج ، اعزاز) ثم عاد الى حلب ، ينظر : المصدر نفسه، ١٣٦/٩ .
- (٧٣) المصدر نفسه، ١٣٧/٩ .
- (٧٤) المصدر نفسه، ١٣٧/٩ .
- (٧٥) ذكر ابن الأثير ان صلاح الدين وهبها الى اخت الملك الصالح الصغرى التي لقت طلبها فقالت " اريد قلعة اعزاز " فسلمها اليهم ورحل الى الاسماعيلية ، وربما كان في ذلك شيء كثير من الصواب لان صلاح الدين هو الغالب ومن غير الممكن ان يشترطوا عليه أخذها ضمن شروط الصلح ، كما ان صلاح الدين لم يكن يفعل هذا لو كانت ضمن شروط الصلح ومنحها لهذه الطفلة تأكيداً لرغبته في الصلح ، ينظر :
- المصدر نفسه، ١٣٧/٩ .
- (٧٦) المصدر نفسه، ١٣٩/٩ .
- (٧٨) المصدر نفسه، ١٣٩/٩ .
- (٧٩) المصدر نفسه، ١٤٠/٩ .
- (٨٠) المصدر نفسه، ١٤٠/٩ .
- (٨١) المصدر نفسه، ١٤٠/٩ .
- (٨٢) المصدر نفسه، ١٤٢/٩ .

٨٣) كان صاحب حماة شهاب الدين الحارمي شديد المرض وشمس الدين كان في قلة من عسكره مع تكاسله في الدفاع لانشغاله في الملذات ، ينظر :

المصدر نفسه، ١٤٢/٩ .

٨٤) المصدر نفسه، ١٤٢/٩ .

٨٥) المصدر نفسه، ١٤٣/٩ .

٨٦) المصدر نفسه، ١٤٣/٩ .

٨٧) المصدر نفسه، ١٤٤/٩ .

٨٨) ذكراين الأثير ان صلاح الدين أمر بقتل الاسرى . ينظر : المصدر نفسه

١٤٥/٩،

٨٩) المصدر نفسه، ١٤٦/٩ .

٩٠) المصدر نفسه، ١٤٥/٩ .

٩١) المصدر نفسه، ١٤٦/٩، ١٤٧ .

٩٢) المصدر نفسه، ١٤٧/٩ .

٩٣) المصدر نفسه، ١٤٦/٩ .

٩٤) المصدر نفسه، ١٤٦/٩ .

٩٥) المصدر نفسه، ١٤٧/٩ .

٩٦) كانت فديته ألف وخمسين ألف دينار واطلاق سراح ألف من أسرى

المسلمين. ينظر: المصدر نفسه، ١٤٧/٩ .

٩٧) المصدر نفسه، ١٤٧/٩ .

٩٨) يبدو أن هذه الحفر والحرق ساعد على تآكل السور. ينظر: المصدر

نفسه ١٤٧/٩. ١٤٨.

٩٩) المصدر نفسه، ١٤٨/٩ .

١٠٠) يبدو ان ما شجع أرسلان على المطالبة بهذا الحصن المسلوب منه منذ عهد نور الدين زنكي هو ان هذا الحصن أصبح الى ابن المقدم حيث أقطعه صلاح الدين له وخلال هذه الفترة كان ابن المقدم محاصر من قبل الملك الناصر صلاح الدين الذي كان في حالة حرب مع الفرنج فضلاً عن ما علله ابن الأثير "إن الملك الصالح بطلب بينه وبين صلاح الدين " إذ كان قلج صاحب قمونيه قاصراً ، ولعل هذا كله شجعه على المطالبة به بعد طول هذه المدة ، ينظر : المصدر نفسه ، ١٤٨/٩

١٠١) المصدر نفسه ، ١٤٥/٩ .

١٠٢) المصدر نفسه ، ١٤٩/٩ .

١٠٣) المصدر نفسه ، ١٥٣/٩ .

١٠٤) المصدر نفسه ، ١٥٣/٩ .

١٠٥) المصدر نفسه ، ١٥٣/٩ .

١٠٦) لعله كان للقوة وكثرة الاتباع وقوة الحصون أثرها، ينظر: المصدر نفسه، ١٥٦/٩ .

١٠٧) الا انه لسوء حظه اكتشفت أمواله في البحر من قبل مراكب سيف الاسلام وأخذها ، ينظر: المصدر نفسه ، ١٥٣/٩ .

١٠٨) كانت بلاد تكثر فيها القلاع والحصون وهي ذات جغرافية وعرة تكثر فيها الجبال والمضايق ، ينظر : المصدر نفسه ، ١٥١/٩ .

١٠٩) المصدر نفسه ، ١٥٤/٩ .

١١٠) المصدر نفسه ، ١٥٤/٩ .

- (١١١) ان مسير التجار اشارة الى استتباب الأمن لمزاولة المهنة فقد خرجوا معه وبعض أهل مصر ومن سكنها الى الشام هرباً من الغلاء ، ينظر : المصدر نفسه ، ١٥٥/٩ .
- (١١٢) المصدر نفسه، ١٥٥/٩ .
- (١١٣) بيسان : بينها وبين طبريه ثمانية عشر ميلاً وهي في الجنوب من طبريه ، ينظر : أبي الفداء ، تقويم البلدان، ص ٢٤٣ .
- (١١٤) ابن الأثير ، الكامل ، ١٥٦/٩ .
- (١١٥) المصدر نفسه، ١٥٩/٩ .
- (١١٦) ذكر ابن الأثير حول هؤلاء الأسرى " ان البحر قد القى بسفن للفرنج فيها جمع عظيم منهم الى دمياط كانوا قد خرجوا لزيارة بيت المقدس فأسروا من بها بعد ان غرق منهم الكثير" . ينظر : المصدر نفسه، ١٥٦/٩ .
- (١١٧) المصدر نفسه، ١٥٦/٩ . ١٥٧ .
- (١١٨) حران : تعد من ديار مضر : أبي الفداء ، تقويم البلدان ، ص ٢٧٧ .
- (١١٩) ابن الأثير ، الكامل ، ١٥٦/٩ .
- (١٢٠) المصدر نفسه، ١/٩ .
- (١٢١) الرها بالقرب من قلعة الروم من الجانب الشمالي الشرقي من الفرات، ينظر: أبي الفداء ، تقويم البلدان ، ص ٢٧٧ .
- (١٢٢) ابن الأثير ، الكامل ، ١٥٧/٩ .
- (١٢٣) الرقه : مدينة كبيرة مسورة وهي على جانب الفرات من الجانب الشمالي الشرقي ، ينظر : أبي الفداء ، تقويم البلدان ، ص ٢٧٧ . ويذكر بن الأثير في كامله ان صاحبها قطب الدين ينال حسان المنبجي الذي ما

- ان اقترب منه صلاح الدين حتى رحل عن الرقه ملتحقاً بعز الدين أتابك . ينظر : الكامل ، ١٥٧/٩ .
- (١٢٤) قرقيسيا : مدينة على الفرات والخابور بالقرب من الرقة ينظر: أبي الفداء ، تقويم ، ٢٨١
- (١٢٥) ماكسين : مدينة على الخابور بينها وبين قرقيسيا سبعة فراسخ ينظر: المصدر نفسه، ٢٨٣ .
- (١٢٦) يذكر ابن الأثير ان ابن المقدم أرسل اليهم جماعة من النصارى يقولون لهم ان أخرجتم الجامع جددنا عمارته وأخرجنا كل بيعة لكم في بلادنا ولا يمكن أحداً من عمارتها فتركوه ، ولما وصل الخبر الى صلاح الدين أشار عليه من يتعصب لعز الدين بالعودة فقال يخربون قرى ونملك عوضها بلاد أو نعود نعمرها ونقوى على قصد بلادهم ولم يرجع فكان كما توقع . ينظر: المصدر نفسه، ١٥٧/٩ .
- (١٢٧) جزيرة ابن عمر بلدة في شمالي الموصل وهي على غربي دجلة ينظر: أبي الفداء، تقويم البلدان ، ص ٢٨٣ .
- (١٢٨) ابن الأثير ، الكامل ، ١٥٧/٩ .
- (١٢٩) المصدر نفسه، ١٥٨/٩ .
- (١٣٠) ونزل صلاح الدين على مقربة منها ، ينظر : ابن الأثير ، الكامل ، ١٥٨/٩ .
- (١٣١) أنزل عليها صاحب الحصن نور الدين محمد بن أرسلان. ينظر: المصدر نفسه ، ١٥٨/٩
- (١٣٢) أنزل أخاه تاج الملوك ، ينظر : المصدر نفسه ، ١٥٨/٩ .

١٣٣) بعض أبناء العامة أثناء القتال ضرب جاولي الأسدي مقدم الأسدية
ينظر: المصدر نفسه، ١٥٨/٩ .

١٣٤) المصدر نفسه، ١٥٨/٩ .

١٣٥) المصدر نفسه، ١٥٨/٩ . ١٥٩ .

١٣٦) المصدر نفسه، ١٥٩/٩ .

١٣٧) رأس عين : أول مدن ديار ربيعة من جهة ديار مضر وهي رأس ماء
الخابور ، ينظر : أبي الفداء ، تقويم البلدان ، ص ٢٧٩ .

١٣٨) ابن الأثير ، الكامل ، ١٥٩/٩ .

١٣٩) آمد : من ديار بكر على غربي دجله ، ينظر : أبي الفداء ، تقويم
البلدان ، ص ٢٨٧ .

١٤٠) كان صلاح الدين بهذا الاسلوب يحاول استغلال العامل النفسي في
تحقيق النصر، ويبدو انه أدرك ان أهل آمد كارهون لحاكمها بهاء الدين
بن نيسان الذي يكنز لنفسه الأموال فقد ملئت أبراج المدينة أصناف
الذخائر، بينما يضيق على أهل المدينة في مكاسبهم وكان هذا الحاكم
سبب أساس في تسليم المدينة لانه لم يصرف ديناراً في تجهيز المقاتلين
بالذخائر والاموال وترك مسؤولية حماية آمد على أهلها ، وكانت أسباب
النصر لآدمتوفرة فلها من حصانتها ما كان مضرب للامثال وكثرة
أموالها واستعداد أهلها للدفاع عنها لو وضفت جيداً في الحرب ينظر :
ابن الاثير ، ١٦١/٩ .

١٤١) طلب ابن نيسان ثلاثة أيام لنقل أمواله من المدينة ، وطلب المساعدة
من صلاح الدين فارسل له الرجال والدواب ، الا ان أيام الهدنة انقضت
دون ان يكمل النقل فمنع عن أخذ الباقي التي سلمها صلاح الدين مع

المدينة الى نور الدين محمد بن قرا أرسلان، ينظر: المصدر نفسه ،
١٦١/٩ . ١٦٢ .

(١٤٢) أخذها صلاح الدين بسهولة لان أهلها عندما ضربوا بالمنجنيات طلبوا
الأمان ، وجعل عليها الامير داروم الباروقي صاحب تل باشر ، ينظر :
المصدر نفسه ، ١٦١/٩ . ١٦٢ .

(١٤٣) عينتاب : وهي عن حلب في جبهة الشمال على ثلاث مراحل ، وذكر
ان حاكمها ناصر الدين محمد أخو الشيخ اسماعيل خازن نور الدين
زنكي اتفق على الدخول في طاعة صلاح الدين وخدمته مقابل ان يبقى
صاحب الحصن . ينظر: أبي الفداء، تقويم البلدان ، ص ٢٤٩ ؛ ابن
الاثير ، الكامل ، ١٦١/٩-١٦٢ .

(١٤٤) لعل ما كان وراء ذلك هو ادراكه ان صلاح الدين عازم على أخذ
المدينة مهما طال حصاره لها وأظهر انه يريد ان يبني مساكن له
ولأصحابه وعساكره ، كما ان عساكره أظهرت بوادر الخروج عليه ، فقد
حضر يوماً عنده بعض اجناده وطلبوا منه شيئاً فاعتذر بقلة المال عنده
فقال له بعضهم من يريد ان يحفظ مثل حلب يخرج الأموال ولو باع حلي
نسئه وكان الأمير طمأن الباروقي الذي كان الى جانبه له ميل في تسليم
حلب لصلاح الدين فوجد ان هذا الاتفاق هو لصالحه كما انه أعرف
بتلك الديار من حلب فقد كان صاحب سنجار قبلاً ، أما صلاح الدين
فقد وافق على هذا لانه كما كتب عنه القاضي الفاضل " اعطيناه الدراهم
ونزلنا عن القرى وأحرزنا العواصم " وكتب أيضاً اعطيناه ما لم يخرج
عن البلد يعني انه متى شاء أخذه لعدم حصانته ، ينظر : ، ابن الاثير
، الكامل ، ١٦٢/٩ .

١٤٥) أثناء العودة وصله خبر وفاة أخيه الاصغر تاج الملوك على أثر طعنة في ركبته ، ينظر : المصدر نفسه، ١٦٢/٩ .

١٤٦) المصدر نفسه، ١٦٢/٩ .

١٤٧) المصدر نفسه، ١٦٣/٩ .

١٤٨) لان البرنس صاحب الكرك في سنة ٥٧٨ هـ تمكن من تجهيز اسطول قسمه الى قسمين أحدهما حاصر أيله والثاني الى عينتاب فهاجموا المراكب الاسلامية على ساحلها ، وحينها كان صلاح الدين في البلاد الجزرية، الا ان نائبه على مصر أخاه الملك العادل ابو بكر أيوب سير الاسطول المصري بقيادة حسام الدين لؤلؤ الحاجب ، فأنفذ ايله ، وما ان وصل الى عينتاب حتى وجدهم قد غادروها فبقي في أثرهم . ينظر : المصدر نفسه، ١٥٩/٩ . ١٦٠ .

١٤٩) المصدر نفسه، ١٦٠/٩ .

١٥٠) أرسل صلاح الدين اليه يأمره بالخروج الى الكرك ، ينظر : المصدر نفسه، ١٦٤/٩ .

١٥١) المصدر نفسه، ١٦٤/٩ .

١٥٢) لأنه كان قد طلبها من صلاح الدين قبل خروجه من مصر ، فسار اليها في شهر رمضان وعاد الملك الظاهر غازي ابن صلاح الدين الى دمشق ، ينظر : المصدر نفسه، ١٦٤/٩ .

١٥٣) فقد حضر نور الدين محمد بن قرا أرسلان صاحب الحصن وحضرت العساكر التي بعثها ابن أخيه تقي الدين الذي أصبح نائبه على مصر بعد خروج الملك العادل عنها ، ينظر : المصدر نفسه ، ١٦٤/٩ . ١٦٥ .

(١٥٤) كانت قلعة الكرك ومدينتها على سطح الجبل وكان يفصل القلعة عن قراها خندق بعمق ٦٠ ذراع. ينظر: المصدر نفسه، ١٦٥/٩ . ١٦٦ .

(١٥٥) من مادة الخشب واللبن ، ينظر : المصدر نفسه، ١٦٦/٩ .

(١٥٤) المصدر نفسه، ١٦٦/٩ .

(١٥٥) المصدر نفسه، ١٦٦/٩ .

(١٥٦) المصدر نفسه، ١٦٦ /٩ .

(١٥٧) المصدر نفسه، ١٥٨/٩ .

(١٥٨) المصدر نفسه، ١٦٤/٩ .

(١٥٩) مرض صدر الدين شيخ الشيوخ عبد الرحمن في دمشق ولما غادرها مات في الرحبة في شعبان سنة ٥٨٠ هـ وقبله مات بشير الخادم

بالسخنة ينظر :المصدر نفسه ، ١٦٧/٩ .

(١٦٠) المصدر نفسه، ١٦٤/٩ .

(١٦٢) لأنه حث على المسير ووعده بخمسين ألف دينار لكنه خالف وعده، الا ان صلاح الدين أطلق سراحه بعد مدة لأنه خاف انحراف الناس عنه بالبلاد الجزرية، لأنهم كلهم علموا بما اعتمده مظفر الدين معه من تمليك البلاد . ينظر : المصدر نفسه، ١٦٧/٩ . ١٦٨ .

(١٦٣) المصدر نفسه، ١٦٨/٩ .

(١٦٤) وقد تحمل صلاح الدين بسبب هذا التصرف لوم الكثير لأن النساء لا يرد لهن طلب لهذا أرسلهن عز الدين لانه وكل من عنده ظنوا انها ذا طلبن منه الشام أجابهن الى ذلك خاصة وان ابنة مخدومه وولي نعمته نور الدين كانت معه .

١٦٥) الذي كان قد قتل عسكر قزل صاحب أذربيجان الذي سيره مع مجاهد الدين لاسترداد أربيل بعد أن أطلق سراحه عز الدين شفاعة شمس الدين البهلوان صاحب همذان وبلاد الجبل الا ان هذا العسكر ترك حصار أربيل وتفرقوا للنهب والسلب فتمكن زين الدين يوسف من هزيمتهم في سنة ٥٨٠ هـ، ينظر : المصدر نفسه، ١٦٥/٩.

١٦٦) لعله خاف على نفسه بعد ان أطلق سراح مجاهد الدين في محرم سنة ٥٨٠ هـ لأنه هو وشرف الدين أحمد بن أبي الخير سعوا في سجنه ،

ينظر : المصدر نفسه، ١٦٣/٩

١٦٧) المصدر نفسه، ١٦٤/٩ .

١٦٨) المصدر نفسه، ١٦٨/٩ .

١٦٩) المصدر نفسه، ١٦٨/٩ . ١٦٩ .

١٧٠) المصدر نفسه، ١٦٨/٩ .

١٧٢) ميفارقين : قاعدة ديار بكر . ينظر : أبي الفداء ، تقويم البلدان ، ص ٢٧٩ .

١٧٣) ابن الأثير ، الكامل ، ١٦٩/٩ .

١٧٤) المصدر نفسه، ١٦٩/٩ .

١٧٥) المصدر نفسه، ١٦٩/٩ .

١٧٦) لم يذكر ابن الأثير ما اذا كان قد أكمل طريقه وملك خلاط ، فهو بعد ان ينهي الرواية عن ميفارقين ذكر عودة صلاح الدين الى حصار الموصل، ولكنه في أخبار السنة نفسها ذكر ان فتنة حصلت بين التركمان والاكرد في كل الديار الجزرية والموصل وديار بكر وخلاط

- والشام وشهرزور وأذربيجان ، فضلاً عن ان شمس الدين بهلوان قد ملكها قبله لهذا عاد الى الموصل ، ينظر، المصدر نفسه، ١٧٠/٩ .
- (١٧٧) انفقوا ان يسلم اليه عز الدين شهرزور وأعمالها وولاية القربلى وجميع ما وراء الزاب من أعمال، وان يخطب له على منابر بلاده ويضرب اسمه على السكة، فلما حلف أرسل رسله فحلف عز الدين له وتسلم البلاد. ينظر : المصدر نفسه، ١٧٠/٩ .
- (١٧٨) المصدر نفسه، ١٧٠/٩ .
- (١٧٩) الذي ترك حران الى حمص ينتظر موت عمه ، فاجتاز بحلب وأحضر جماعة من الدمشقيين وواعدهم على تسليم البلد اليه اذا مات صلاح الدين ، الا ان صلاح الدين لم ينس هذا فبعث اليه بعد ان شفي ، الناصح بن العميد الذي دس له السم في الخمر فمات ليلة عيد الاضحى ، ومن ليلتها عاد بن العميد الى صلاح الدين وكافاه بمنحه حمص والرحبة التي كانت لابن عمه ، ولما وصل صلاح الدين الى حمص في طريقه الى دمشق أخذ معظم تركته ولم يبق منها الا النزر اليسير . ينظر : المصدر نفسه، ١٧٠/٩ .
- (١٨٠) المصدر نفسه، ١٧٠/٩ .
- (١٨١) كان صلاح الدين يعتمد عليه وكان عاقلاً ذا مكر ودهاء. ينظر: المصدر نفسه، ١٧٣/٩
- (١٨٢) المصدر نفسه، ١٧٣/٩ .
- (١٨٣) المصدر نفسه، ١٦٧/٩ .
- (١٨٤) المصدر نفسه، ١٦٧/٩ .

١٨٥) المصدر نفسه، ٢١٧/٩، ١١٠، ١٤١، ٣٩، ١٠٢، ١٧٣، ٢١٠،
٢١٨، ١٥٧، ٢٢٠، ١١١، ١٤٢، ١٦٨، ١٩٧، ١٩٠، ٢١١، ١٢٣،
١٤٧، ١٧٠، ١٤٨، ٢٢٤، ١٣٦، ٢٢٥، ١٣٦، ٢٠٨، ١٧٥، ١٢٥،
١١٤، ١٢٩، ١٩٠، ١٢٨، ١٥٤، ١٣١، ٢١٢، ٢٢٦، ٢١٢، ١١١،
١٣٣، ١٥١، ١٥٨، ٢١٠، ١٥٨، ١٦٨، ٢٢٦.